وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة زيان عاشور الجلفة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ وعلم الآثار

الواقع الاقتصادي للمغرب الأوسط في العهد الرستمي في العصر الوسيط (160هـ،296هـ/776م،909م)

مذكرة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص تاريخ الغرب الإسلامي

إعداد الطالبين:
* محمد عبد الحكيم هصك
* الميلود حمداني

إشراف الأستاذ:
* د/ أحمد شارف

السنة الجامعية:2022/2021

ملخص

عنوان المذكرة الواقع الاقتصادي للمغرب الأوسط في العهد الرستمي خلال العصر الوسيط 160 / 296 هـ 776 / 909 م ، تناولنا هذ الموضوع وفق الخطة التالية

1- مقدمة : شرحنا فيها الموضوع وقدمنا تعريف له مع ذكر اهم الدراسات متناولة لهذا الموضوع وإعطاء أسباب ذاتية وموضوعية لإختيارنا له وذكر في الأخير أهم الصعوبات التي واجهناها .

2- الفصل الأول : جاء بعنوان الأوضاع العامة للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية الذي قسمناه الى مبحثين المبحث الأول تناول الوضع السياسي للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية مثل الفتوحات الإسلامية والوضع الاقتصادي في عصر الولاة والفتوحات خاصتا ما تعلق بالجانب الزراعي والتجاري و المبحث الثاني تناول الجانب السياسي للدولة الرستمية تحدثنا من خلاله على أئمة الدولة الرستمية وأهم أعمالهم من أشهرهم عبد الرحمان ابن رستم مع ذكر في الأخير أسباب سقوط الدولة الرستمية والتي كان من أشهرها ضعف أئمة الدولة الرستمية .

3- الفصل الثاني : جاء بعنوان أهم النشاطات الاقتصادية للدولة الرستمية حيث قسمناه الى مبحثين المبحث الأول تكلما فيه عن الاقصاد في الدولة الرستمية أم المبحث الثاني تناولنا فيه العلاقات التجارية للدولة الرستمية مع دولة بني مدرار دولة الأدارسة والدولة الاموية بالأندلس .

4- كخاتمة للموضوع استنتجنا ان الدولة الرستمية عرف إزدهارا اقتصاديا مميزا خاصتا ما تعلق بالجانب التجاري و الزراعي مع ذكر في الأخير بعض الملاحق كالخرائط ومن أشهرها الخريطة الاقتصادية للدولة الرستمية ، وذكر بعض المصادر المتناولة في الموضوع كإبن صغير المالكي أخبار الأئمة الرستمية ويوسف جودت عبد الكريم الأوضاع الاقتصادية بالمغرب الأوسط خلال القرن الرابع هجري ومحمد عيسى الحريري الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي .

Sommaire

Le titre de la note est la réalité économique du Maghreb moyen à l'époque Rustamienne au Moyen Age 160/296 AH 776/909 AD Nous avons traité ce sujet selon le plan suivant

1- Introduction : Nous y avons expliqué le sujet et en avons donné une définition en mentionnant les études les plus importantes traitant de ce sujet et en donnant les raisons subjectives et objectives de notre choix.Enfin, il a mentionné les difficultés les plus importantes auxquelles nous avons été confrontés.

2- Chapitre premier : Il s'intitulait les conditions générales du Maghreb moyen avant l'établissement de l'Etat de Rustamiya, que nous avons divisé en deux sections.La première section traite de la situation politique du Maghreb moyen avant l'établissement de l'Etat de Rustamiya. État de Rustamiya, telles que les conquêtes islamiques et la situation économique à l'ère des dirigeants et des conquêtes, en particulier celles liées à l'aspect agricole et commercial, et la deuxième section traite de l'aspect Le politicien de l'État de Rustamiya, nous avons parlé à travers lui de les imams de l'état de Rustamiya, et leurs œuvres les plus importantes sont parmi les plus célèbres d'entre eux, Abd al-Rahman Ibn Rustam, avec une mention à la fin des raisons de la chute de l'état de Rustamiya, dont la plus célèbre était la faiblesse des imams Rustumiyya.

3- Le deuxième chapitre : Il est venu sous le titre des activités économiques les plus importantes de l'État de Rustamiya, où nous l'avons divisé en deux sections. La première section parlait des objectifs dans l'État de Rustamiya, ou la deuxième section traitait des activités commerciales. relations de l'État de Rustamiya avec l'État de Bani Madarar, l'État idrisside et l'État omeyyade en Andalousie.

4- En conclusion du sujet, nous avons conclu que l'État de Rustamiya a connu une prospérité économique distinguée, en particulier celles liées aux aspects commerciaux et agricoles, avec quelques annexes telles que des cartes mentionnées à la fin, dont la plus célèbre est la prospérité économique. carte de l'État de Rustamiya. Économique au Maghreb central au cours du IVe siècle de l'Hégire et Muhammad Issa al-Hariri, l'État de Rustumiya au Maghreb islamique.

Summary

The title of the note is the economic reality of the Middle Maghreb in the Rustamian era during the Middle Ages 160/296 AH 776/909 AD. We dealt with this subject according to the following plan

1- Introduction: In it we explained the topic and gave a definition of it with mentioning the most important studies dealing with this topic and giving subjective and objective reasons for our choice of it. Finally, he mentioned the most important difficulties we faced.

2- Chapter one: It came under the title of the general conditions of the Middle Maghreb before the establishment of the Rustamiya state, which we divided into two sections. The first section deals with the political situation of the Middle Maghreb before the establishment of the Rustamiya state, such as the Islamic conquests and the economic situation in the era of rulers and conquests, especially those related to the agricultural and commercial aspect, and the second section deals with the aspect The politician of the Rustamiya state, we talked through him about the imams of the Rustamiya state, and their most important works are among the most famous of them, Abd al-Rahman Ibn Rustam, with a mention at the end of the reasons for the fall of the Rustamiya state, the most famous of which was the weakness of the Rustumiyya imams.

3- The second chapter: It came under the title of the most important economic activities of the Rustamiya state, where we divided it into two sections. The first section talked about the purposes in the Rustamiya state, or the second section dealt with the commercial relations of the Rustamiya state with the state of Bani Madarar, the Idrisid state and the Umayyad state in Andalusia.

4- As a conclusion to the topic, we concluded that the Rustamiya state experienced a distinguished economic prosperity, especially those related to the commercial and agricultural aspects, with some appendices such as maps mentioned at the end, the most famous of which is the economic map of the Rustamiya state. Economic in the Central Maghreb during the fourth century AH and Muhammad Issa al-Hariri, the Rustumiya state in the Islamic Maghreb.

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار بطريق العلم والمعرفة، أعاننا على أداء هذا الواجب

ووفقنا الى انجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والعرفان والاحترام الى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد

على انجاز هذا العمل خاصة أسرة التعليم العالي

والأستاذ المشرف على العمل **شارف أحمد** وذلك بالتوجيهات والنصائح القيمة

والذي كان عون لنا في إتمام هذا العمل

مع تحيتنا لجميع أسرة التعليم العالي لجامعة زيان عاشور الجلفة

إهداء

إلى من أنار طريقي وزرع في حب العلم في لبي الى الذي كان سندي في عملي ومعي دائما في السراء والضراء الوالد الغالي رحمة الله عليه وأسكنه فسيح جنانه

والى منبع الحنان والآمان وشجرة الاطمئنان الوالدة الغالية العزيزة

والى كل القلوب الطاهرة الرفيقة والنفوس البريئة

والى كل من ساندني في مرحلة الدراسة.

هصك محمد عبد الحكيم

إهداء

أهدي هذا العمل الى أمي التي هي تحت الثراء والى كل من صاحبني في هذه الحياة

والى أبي الغالي حفظه الله ورعاه والى من ساعدني ووقف بجانبي

في هذا العمل النبيل الشريف المتواضع

وأتمنى التوفيق لي والى جميع الطلبة والأساتذة ...وشكرا

حمداني الميلود

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات

الرمز	المعنى
د ط	دون طبعة
تر	ترجمة
ج	الجزء
تع	تعريب
د د ن	دون دار نشر
د ب ن	دون بلد نشر
د س ن	دون سنة نشر
ص	صفحة
ق.م	قبل الميلاد
مج	مجلد

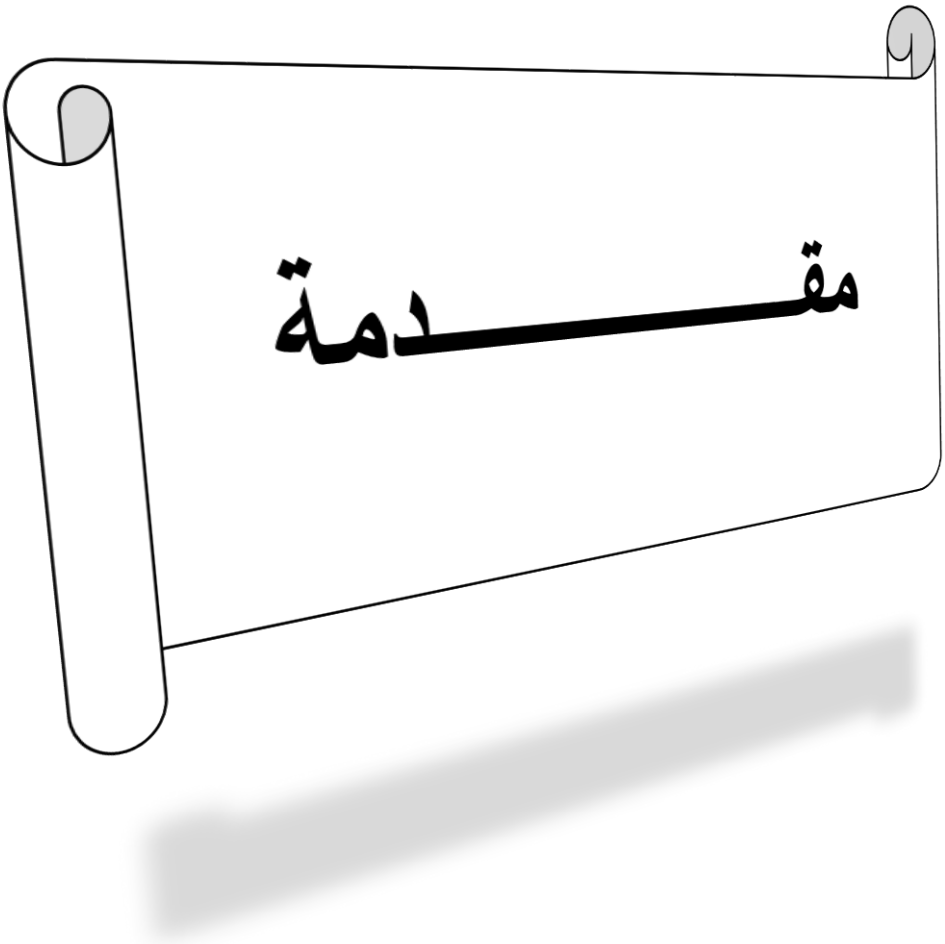
مقـــــدمة

عرفت بلاد المغرب الأوسط بطابعها الجغرافي وتضاريسها المختلفة من منطقة الى أخرى وهذا الاختلاف والتباين بين المناطق له تأثير مباشر على حياة الانسان، خاصة ما تعلق بالجانب الاقتصادي فتنوع الأنشطة بين سكان المغرب الأوسط زاد من حركة النشاط الاقتصادي وازدهاره وهذا ما شهدته أولى الامارات المستقلة في المغرب الأوسط وهي لدولة الرستمية(160هـ-296هـ/ 776م-908م) فقد سعى أئمتها الى تطويرها وازدهارها لعلمهم بمدى أهمية هذه الدولة وثرواتها الكبيرة بالإضافة أنهم قاموا بتحسين وإقامة علاقات خارجية للدولة الرستمية مع دول مختلفة لظروف وعوامل ساعدة على ذلك.

ولقد قمنا باختيار هذا الموضوع الموسوم تحت عنوان: "الواقع الاقتصادي للمغرب الأوسط في العهد الرستمي في العصر الوسيط (160هـ-296هـ/ 776م-908م) " ولذلك أهمية الموضوع خاصة أنه يتناول المجال الاقتصادي لدولة مستقلة بذاتها وعن الخلافة العباسية في المغرب الأوسط ولأهمية الجانب الاقتصادي الذي كانت تتمتع به الدولة الرستمية.

وأيضا تكمن أهمية دراستنا في هذا الموضوع الذي تطرقنا فيه إلى احدى الدول الإسلامية التي قامت في المغرب الأوسط ومن أهم مؤسسيها الإباضين وتعتبر أول دولة قامت بالمغرب الأوسط، وشهدت تطورا وازدهارا في كل المجالات، رغم ذلك وصلنا عن الدولة الرستمية القليل جدا مقارنة بما فعلته هذه الدولة وهذا ما دفعنا لاختيار هذا الموضوع.

وانطلقنا من أسباب ذاتية وموضوعية في اختيارنا هذا الموضوع.

أسباب ذاتية: رغبة في البحث عن الجانب الاقتصادي للدولة الرستمية واعتبار الدولة الرستمية كانت عاصمتها تاهرت الموجودة بالجزائر العاصمة، وأسباب موضوعية: البحث عن موضوع الاقتصاد الذي شهد الكثير من التهميش وقلة الدراسة فيه من المصادر، محاولة إعطاء صورة حول اقتصاد تاهرت والمغرب الأوسط بصفة عامة ودوره في تنشيط ونمو الدولة.

وقامت الدولة الرستمية التي كانت عاصمتها تاهرت في سنة 160هـ/776م، والتي استمرت الى عام 296هـ/977م.

وانطلقنا من الاشكالية التالية للموضوع: كيف كانت الأوضاع الاقتصادية للدولة الرستمية، وللإجابة قمنا بطرح تساؤلات فرعية:

-ماهي أهم النشاطات الاقتصادية التي احتوتها بلاد المغرب الأوسط قبل الدولة الرستمية؟

-كيف ساهم الأئمة الرستميين في الحياة الاقتصادية وازدهارها؟

-بما تميزت علاقة الدولة الرستمية الداخلية والخارجية؟

و قسمنا بحثنا هذا وفق الخطة التالية فانطلقنا من مقدمة عرفنا بها الموضوع وقسمنا بحثنا هذا الى فصلين بحيث كان الفصل الأول تحت عنوان الأوضاع العامة للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية والذي بدوره ينقسم الى مبحثين كل مبحث الى ثلاث مطالب وجاء المبحث الأول بعنوان الوضع السياسي والاقتصادي للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية والمبحث الثاني جاء بعنوان الواقع السياسي للدولة الرستمية أما الفصل الثاني فتناول الواقع الاقتصادي للدولة الرستمية وكان هناك مبحثين الأول تناول لموضوع النشاط الاقتصادي للدولة الرستمية والمبحث الثاني تناول العلاقات الاقتصادية للدولة الرستمية وكان لكل مبحث ثلاث مطالب.

واعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي وكذلك نوع من السرد لبعض الأحداث التاريخية وبالإضافة الى المنهج الوصفي لوصف بعض النشاطات الاقتصادية للدولة الرستمية بتاهرت.

و وجدت بعض الدراسات السابقة التي تطرقت لهذا الموضوع لعلى أبرزها نظم الدولة الرستمية، مذكرة لنيل شهادة الماستر، اعداد الطالبتين سميرة شيخاوي وليندا كيحل، وتحت اشراف الأستاذة زينب شلبي، جامعة محمد أولحاج البويرة، 2015/2014، حيث تناولت في الجزء الأول الجانب السياسي للدولة الرستمية، ولدينا دراستين سابقتين بعنوان النشاط الاقتصادي للدولة ومجتمع الرستميين مذكرة لنيل شهادة ماستر من اعداد الطالبين نورالدين ديوان وعبد الحق عطاء الله، اشراف علي شعوة، جامعة حمة لخضر الوادي، 2020/2019، تناولت هذه الدراسة في الجزء الثاني موضوع الاقتصادي في الدولة الرستمية وأهم النشاطات المتعلقة به.

واعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع ومن أبرزها كتاب أخبار الأئمة الرستميين لابن الصغير المالكي المتوفى في القرن3ه ويعتبر من أهم المصادر التي أفادتنا كثيرا لمعرفة الأنشطة الاقتصادية لاسيما منها التجارية لدولة الرستمية وكتاب السير للشماخي، والذي يعد مصدر يتحدث بإسهام عن الدولة الرستمية وأئمتها وأحداث التي وقعت، وكتاب صورة الأرض

لابن حوقل أبو القاسم النصيبي ت 367هـ/977م، يعتبر مصدر مهم في معرفة الأنشطة الاقتصادية.

كذلك كتاب سير الأئمة وأخبارهم لأبي زكريا يحي 474هـ/1078م، حيث تناول سير الأئمة وأخبارهم الذي يخبرنا عن الأئمة الرستميين ودورهم، فتخللت المصادر بمجموعة من المراجع أهمها: محمد عيسى الحريري الدولة الرستمية حضارتها وعلاقتها الخارجية 160هـ/296هـ، حيث يتناول هذا المرجع المجال السياسي لدولة الرستمية ويتطرق لأبرز أئمة الدولة الرستمية ولدينا الحبيب الجنحاني المجتمع العربي الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية الذي تناول النشاط الاقتصادي للمغرب الأوسط، ومن المراجع المهمة إبراهيم بكير بحاز، يعتبر أهم مرجع يتحدث عن الدولة الرستمية والحياة الاقتصادية التي شهدتها الدولة ويتحدث عن الازدهار الاقتصادي الذي وصلت اليه الدولة، دون أن ننسى المرجع يوسف جودت عبد الكريم بكتابين الأوضاع الاقتصادية للمغرب الأوسط الذي يتحدث عن اقتصاد الدولة الرستمية والكتاب الثاني يتحدث عن علاقات الخارجية للدولة الرستمية.

وواجهتنا عدة صعوبات في تقديم موضوع بحثنا هذا أهمها:

-ضيق الوقت المخصص للدارسة.

-ندرة المصادر التي تتناول الجانب الاقتصادي.

-تناول الجانب الاقتصادي من الدولة الرستمية جعل الموضوع مقيد في مجال محدد وخاص.

المبحث الأول: الوضع السياسي والاقتصادي للمغرب الأوسط قبيل قيام الدولة الرستمية

المبحث الثاني: الواقع السياسي للدولة الرستمية

المبحث الأول: الوضع السياسي والاقتصادي للمغرب الأوسط قبيل قيام الدولة الرستمية

المطلب الأول: الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط

اختلف الجغرافيون والرحالة في تحديد جغرافية المغرب الأوسط فقد ذكر عبد الحميد حسن حمودة في كتابه تاريخ المغرب في العصر الإسلامي أن المغرب الأوسط يمتد من تاهرت حتى واد ملوية وجبال تازة شرقيا وقاعدته مدينة تلمسان وكانت عاصمته تاهرت في زمن الدولة الرستمية وفي أيام الدولة الزيرية التي خلفت الفاطميين صارت العاصمة أشير، ثم انتقلت العاصمة الى مدينة تلمسان شرقا أيام بني عبد الواد القرن 7 هجري.[1]

فيما ذكر عصام عبد الرؤوف الفقه أن المغرب الأوسط يشمل بلاد الجزائر ويمتد من تاهرت حتى واد ملوية وجبال تازة وقاعدته تلمسان.[2]

كما أشارت مصادر أن هناك اختلاف في تحديد وضبط جغرافية المغرب الأوسط، فقد ذكر أن نهر ملوية يمثل الحد الطبيعي الغربي الذي يفصل المغرب الأوسط عن المغرب الأقصى.[3]

كما أكد بعض المؤرخين أن مصطلح المغرب الأوسط يعود الى أساس قبلي بمعنى جاء على أساس قبائل وهذا ما قاله البكري وقال أن قاعدة المغرب الأوسط هي تلمسان فيما قال حسن الوزان أن المغرب ينقسم الى عدة أقاليم أو مماليك مراكش –تلمسان وفاس وإقليم بجاية الذي يضم منطقة الزاب وذكر أن تلمسان يحدها نهر ملوية غربا وصحراء نوميديا جنوبا.[4]

فان المؤرخون والرحالة الجغرافيون كان لهم اختلاف في ضبط جغرافية المغرب الأوسط فهي تمثل إشكالية امام الباحث وذلك لعدة اعتبارات وأهمها حالة القوة والضعف لسلطة المركزية والتي تعاقبت على الحكم وتأثر بالأحداث السياسية والعسكرية في بلاد المغرب الإسلامي.

---

[1] عبد الحميد حسن حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية، دار الثقافة، ط1، القاهرة، 2002، ص13.

[2] عصام الدين عبد الرؤوف، الفقه تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة، جامعة القاهرة، 1984، ص12.

[3] يوسف جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمغرب الأوسط خلال القرن 3 و4هـ، ط1، دار المطبوعات الجزائرية بن عكنون، الجزائر، 1992، ص5.

[4] عادل بديرة، بداية المغرب الأوسط في العصر الوسيط دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات من القرن 4ه الى القرن 7، رسالة ماجيستير في التاريخ الوسيط، اشراف مفتاح خلفان، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2018، ص30.

فنقول أن مصطلح المغرب الأوسط ظهر لتمييز بين المغرب الأدنى والمغرب الأقصى. [1]

المطلب الثاني: الوضع السياسي للمغرب الأوسط قبيل قيام الدولة الرستمية

أ-الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

تركزت المحاولات الأولى لفتح الإسلامي لبلاد المغرب، منذ خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والى قيام الدولة الأموية في منطقة برقة وافريقية،[2] فكانت البوادر الأولى لفتح سنة 50هـ/670م مع حملة عقبة بن نافع والتي كانت هذه الحملة تقوم على أساس قاعدة ثابتة وخطة يتم خلالها نشر الإسلام وتثبيت سيادة القيروان،[3] فتم اختيار القيروان لتكون مركز القاعدة فشرع في بنائها بعد أن نجح في فتح افريقية والقضاء على البيزنطيون سنة 50هـ/670م.[4]

فتجلت عبقرية عقبة في اختيار موقع القيروان كان على عتبة نوميديا جعلها مفتاحا للمغرب الأوسط وما يليها من المغرب الأقصى، فبقي في تأسيس القيروان أربع سنوات استطاع من خلالها تغيير الأمور في بلاد المغرب الإسلامي وحاول عزل عقبة من قيادة وتولية أبو مهاجر دينار 55هـ/676م.[5]

ب-حملة أبو مهاجر دينار: 55هـ/676م

قدم أبو مهاجر دينار الى افريقية في ظروف صعبة من تحالف بيزنطيين مع البربر فالتزم أبو مهاجر دينار سياسة جديدة قوامها التقرب الى البربر لضرب تحالفهم مع البيزنطيين من خلال اخلاء الناس من القيروان،[6] فتمكن أبو مهاجر دينار في نقل عملياته العسكرية الى المغرب الأوسط ودخل المغرب الأوسط وقبض على كسيلة زعيم قبيلة أوروبا واستطاع استمالة كسيلة الى الإسلام وعدد كبير من البربر فكانت هذه صفحة في تاريخ المغرب الأوسط.[7]

---

[1] عادل بديرة، المرجع السابق، ص29.
[2] محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس 160هـ /296هـ، ط3، دار العلم للنشر، 1987، ص15.
[3] نفسه، ص17.
[4] محمود زينهم ومحمد زغب، الدولة الرستمية بالمغرب، ط1، دار الثقافة، القاهرة، 2013م، ص18.
[5] نفسه، ص19.
[6] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص19.
[7] نفسه، ص20.

ج-ولاية عقبة بن نافع الثانية: 6هـ/682م

استطاع عقبة بن نافع العودة الى القيادة العليا في بلاد المغرب وذلك من خلال اقناع السلطات المركزية بدلا من أبي مهاجر دينار وجاء بسياسية جديدة، منافية لسياسة أبو مهاجر دينار التي تقوم على استمالة البربر فعد العدة لغزو المغرب مرة ثانية قبل أن يخلفه زهير بن قيس البدوي على القيروان.[1]

د-حملة حسان بن نعمان: 76هـ/669م

عمل حسان بن نعمان عبء المرحلة الجديد في فتح بلاد المغرب فقد لقي عناية عسكرية من قبل عبد الملك بن مروان فجهزه بجيش كبير،[2] وأعده بأنواع الأسلحة والمعدات فأخترق برقة وطرابلس ووصل القيروان واستطاع حسان بن نعمان أن يحقق الكثير من الانتصارات خاصة مع قبيلة جراوة التي قادتها امرأة تدعى الكاهنة فكانت معارك شديدة بينهم، فتمكن النعمان من النهوض من جديد والقضاء على الكاهنة نهائيا فنقول أن حسان بن نعمان استطاع أن يخلف في المغرب وضع جديد يمكن أن نسمي مرحلة الاختلاط والاندماج العرب والبربر.

هـ-الخليفة موسى بن نصير: 86هـ/705م

كان رجلا شجاع ذو سياسة استطاع من خلالها أن يضع حدا لمسألة فتح المغرب فوضع خطة ترمي لضبط كل عناصر وضربها كالروم وعملائهم من البربر، فتمكن موسى بن نصير أن يأمن على سلامة الفتح الإسلامي من خلال تعزيز النشاط البحري في غرب البحر أبيض المتوسط. [3]

و-عصر الولاة واضطراب أحوال المغرب:

يطلق على عصر الولاة في بلاد المغرب على الفترة الزمنية التي أعقبت استدعاء الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك لموسى بن النصير من الأندلس والمغرب 96هـ/714م حتى قيام الدول المستقلة بتلك الأرجاء.[4]

---

[1] محمد زينهم، محمد زغب، المرجع السابق، ص20.
[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص27.
[3] نفسه، ص29.
[4] نفسه، ص36.

ولم يكن سليمان بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بعد الوليد راضيا عن موسى بن النصي وسياسته فعزله وولى بعده محمد بن يزيد القرشي 97هـ/715م وقام بعده بعدة إصلاحات وكانت له سياسة لوحده وطبقها كما يرى هو ورأيه،[1] ومن أهم الأحداث السياسية في المغرب انتشار المذاهب الخارجية في البربر واندلاع الثورات المحلية ضد الخلافة العباسية فقد فر الكثير من دعاة الخوارج الى المغرب الأوسط وذلك خوفا من بطش الأمويين وحرمانهم فوجد الخوارج في بلاد المغرب الأوسط مسرحا ومكانا لنشاطهم وتربة صالحة لنشر مبادئهم وغرس التعاليم القائمة على المساواة بين المسلمين والثورة على الظلم في جميع أشكاله وذلك من خلال محاولات هذه الدعاة تغيير أوضاع البربر وأفكارهم واتجاهاتهم الدينية والسياسية.[2]

وكانت دعاة الخوارج من اباضية وصفرية فقد عملوا على نشر دعوتهم بالمغرب فانتشرت الصفرية بين بربر القسم الجنوبي في المغرب الأقصى وأعتنق البربر المغرب الأوسط تعاليم الاباضية.[3]

ي/ انتقال مقاليد الصراع في المغرب من الصفرية الى الاباضية

دخلت ظاهرة الثورات في بلاد المغرب دور جديد من تاريخها عندما أخذت تنقل مقاليد القيادة فيها من أيدي الصفرية من الخوارج الى أيدي الاباضية من فرقة الخوارج، ويعود السبب أن أهل المغرب ضاقوا ذرعا بعنف الصفرية.[4]

وتجلى ذلك الانتقال عندما عين عبد الرحمان بن حبيب أخاه الياس بن حبيب واليا على طرابلس إحساسا منه بخطر الاباضية عليه بعد أن بايعوا عبد الله بن مسعود التجيني رئيس الاباضية، فانتشرت ثورات بينهم ولم تهدأ الأمور بينهم ولم تهدأ الأمور بينهم فتمكن عبد الرحمان بن الحبيب في توجيه أنظاره الى المغرب الأوسط، لكن هذا لم يدم طويلا الذي قتل في محرم 140هـ/757م.[5]

فاستفاد دعاة الاباضية من ذلك ومن الأحوال المضطربة فنشروا مذهبهم في نطاق واسع وساعدهم في ذلك الكثير من البربر الذين رفضوا سلوك الاباضية، فقد كانت ثورات الصفرية

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص36.
[2] محمد زينهم، محمد زغب، المرجع السابق، ص45-46.
[3] نفسه، ص46.
[4] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص55.
[5] نفسه، ص56.

شر خطير على البربر ومصالحهم، وقد بلغ هذا الشر عندما الصفرية على القيروان بقيادة أميرها عاصم بن جميل، فتم الاستنجاد بأبو الخطاب المعافري بعد مبايعته الى طرابلس فاستولى عليها وأخذها مقر له فخرج الى القيروان لتحريرها من الصفرية، فالتقى بالصفرية بالموضع يسمى الرقادة وهناك أسفرت المعركة على دخول أبو الخطاب القيروان وانهزام الصفرية سنة 141هـ/758م، فنظم شتوتها وترك عليها شخصية من أبرز الشخصيات الاباضية فهو عبد الرحمان بن رستم وهو من حملة الذي تألق نجمه السياسي منذ ذلك الوقت فحمل لواء الفكر السياسي منذ ذلك الوقت في المغرب الأوسط ومناطق كثيرة من أرجاء المغرب الواسعة ونقل هذا الفكر من مرحلة الدعوة الى مرحلة التطبيق في بلاد المغرب وهذا ما تجل تحت اسم الدولة الرستمية.[1]

المطلب الثالث: الوضع الاقتصادي للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية

الزراعة:

شهد النشاط الزراعي والرعي بالنسبة بالمغرب تطور نظرا لظروف ساعدت على ذلك حيث اختلف العلماء في تحديد طبيعة أرض المغرب فهناك مصادر تقول أن المغرب فتحت عنوة وهناك من يقول أن أرض المغرب فتحت صلحا والرأي الأرجح أن أرض المغرب فتحت عنوة وتعامل معها المسلمين معاملة صلح، كما ورد أول تقسيم الأرض في افريقية في ولاية عقبة بن نافع الأول حيث شرع التخطيط لبناء الأرض في القيروان،[2] كما وجد بالمغرب أنواع من الأراضي كالأراضي السلطانية والأراضي الوقف أي موقوفة لصاحبها وغيرها،[3] وكانت الفلاحة العمود الفقري للمغرب فانتشرت زراعة الحبوب مثل القمح والشعير والحمص والعدس وغيرها كأشجار الزيتون التي كانت سبب ثراء أهل افريقية.

كما وجد الموز بقابس بكثرة وانتشر التمر الذي كان من محاصيل المغرب الهامة كذلك من أكبر المحاصيل الموجودة في المغرب التفاح والرمان والفستق والتين والكرم،[4] دون أن لا

[1] محمد زينهم، محمد زغب، المرجع السابق، ص56.
[2] عبد الحميد حسن حمودة، مرجع سابق، ص193.
[3] يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص16-17.
[4] عبد الحميد حسن حمودة، مرجع سابق، ص194.

ننسى أن الظروف الطبيعية ساهمت وساعدت المغرب على هذا التنوع من المنتجات خاصة ما تعلق بتنوع الأرض.

فكانت أراضي المغرب معروفة بخصوبتها يعني صالحة للزراعة في كل زمان وعرف المغرب نوع من التربة أهمها التربة السوداء فهي أجود الأراضي في المغرب الإسلامي وتقع دائما ضفاف النهر السهل، فكانت مناطق جيدة للزراعة واشتهرت بثمارها وتنوع محاصيلها،[1] فكان هذا التنوع من الأراضي التي تنتج عدد لا يحصى من الفلات وذلك لكثرة الأمطار والأنهار التي ساعدت هذه الظروف على انتاج محصول زراعي مهم بالمغرب الإسلامي،[2] أما عن المصادر التي ساعدت على الازدهار الزراعي في بلاد المغرب خلال عصر الولاة أهمها توفر المياه ومنها مياه الأنهار ومن أشهرها نهر ملوية كذلك منطقة افريقية يوجد نهر بجردة الذي يجري عن الجبل وينتهي الى البحر الأبيض المتوسط.

أما النشاط الرعوي للمغرب فعرف أهل المغرب بتربية الماشية والأغنام وبوفرة الأعشاب والأراضي الزراعية.[3]

كما عرف المغرب بتنوع سلالات أغنام من سلالة الى أخرى وبتوفر نشاط الرعوي ساهم في تنوع الممارسات الفلاحية خاصة الزراعة وتوفر الثورة الحيوانية ساهم في انتاج اللحم وتصديره مما ساعد على ازدهار الجانب الاقتصادي وبذلك نقول أن المغرب كان لها اهتمام ببعض الحيوانات على غرار الأغنام مثل تربية الطيور والخيول، كل هذه الثروة الحيوانية ساهمت بشكل كبير في تحقيق نتائج للمغرب الإسلامي وتطور اقتصاده مما جعله محط أنظار مختلف الدول.[4]

الصناعة:

عرفت الصناعة في بلاد المغرب الإسلامي انتشارا كبيرا حيث تميز المغرب بانتشار بعض الصناعات كالحديد والنحاس والفضة وهذا في بعض المدن المغربية،[5] كما رجت صناعة

[1] عبد المالك بكاي، العمل الزراعي في الأرياف والمدن في المغرب الاسلامي خلال العصر الوسيط، جامعة محمد بوضياف، ص12-13.
[2] يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص21.
[3] عبد الحميد حسن حمودة، مرجع سابق، ص193-194.
[4] الحبيب الجنحاني، مجتمع الغربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ط1، دار الفنون والأدب، الكويت، 2005، ص81.
[5] عبد الحميد حسن حمودة، مرجع سابق، ص195.

العمائم، وكذلك صناعة المنسوجات وانتشر في عصر الولاة صناعة الألبسة وهي صناعة محلية تأثرت بمؤثرات شرقية، كما صنع بتونس أواني الخزفية لحفظ الماء تعرف بالأواني الريحانية، دون أن ننسى أن المغرب عرف المكاييل وصناعة الأسلحة والطرز ووجد بالمغرب الإسلامي صناعة الزيتون والصناعة الخشبية لتوفر الثروة الغابية بالمغرب،[1] ويقول أنه كانت عوامل حتمية بالمغرب سواء كانت طبيعية أو غيرها ساعدت على التطور والإنتاج الصناعي للمغرب كالاتساع العمراني وتوفر اليد العاملة والمواد الخام رغم العراقيل منها المنافسة الخارجية التي فتحت المجال التنافسي الداخلي وكذلك التنظيم المحكم للمهن والصناعات.[2]

وتوفير الإمكانيات لصناع والتعامل بشكل جيد مع العمال كل هذه العوامل ساهمت وفتحت الباب لظهور الصناعات بالمغرب الإسلامي كصناعة الحرير والأقمشة وغيرها.[3]

التجارة:

عرفت التجارة بالمغرب الإسلامي تطور وازدهار، اذ كانت لها علاقات بين مدن المغرب خاصة افريقية والقيروان ومصر من ناحية الشرق فانتشرت الأسواق في المغرب وساهمت في توطيد العلاقات التعاون التجاري بين المدن التجارية، كما عرفت القيروان أسواق منها سوق إسماعيل الأنصاري الذي نشأ سنة 71هـ وعرف تبادل تجاري بين المشرق والمغرب في مجال الصادرات والواردات، فكان المغرب يصدر السلع الهامة كالحبوب والعبيد والزيتون والسجاد والأقمشة وغيرها من المنتوجات الأخرى التي كان يصدرها المغرب وكان المغرب يستورد منتوجات رفيقة مثل الأقمشة والأسلحة والتوابل.[4]

فكان التبادل في الحاصلات الزراعية والفواكه وغيرها من المنتوجات الأخرى التي كانت دائمة الحركة بين المدن المغربية.

كما عرفت فترة عصر الولاة بالانتعاش الاقتصادي الكبير ساهم في تنشيط حركة التعامل التجاري الداخلي وخير مثال على ذلك ما فعله عبد الرحمان الحبيب لما حفر آبار لتزويد المسافر والتاجر بما يحتاجه من الماء.

[1] عبد الحميد حسن حمودة، مرجع سابق، ص196.
[2] يوسف جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص84-85.
[3] نفسه، ص86.
[4] عبد الحميد حسن حمودة، مرجع سابق، ص197.

فنقول أن مدن المغرب الإسلامي عرفت انتشار الأسواق التجارية المتنوعة التي ساهمت في العمل التجاري خاصة منها القيروان وبلاد افريقية التي عمت بمختلف القوافل التجارية من المدن والمناطق.

وفي الأخير نقول أن التجارة في بلاد المغرب عرفت تطور رغم الظروف التي شهدها المغرب مثل الفتوحات الإسلامية وغيرها من الأحداث.[1]

[1] عبد الحميد حسن حمودة، مرجع سابق، ص197.

المبحث الثاني: الواقع السياسي للدولة الرستمية

المطلب الأول: قيام ونشأة الدولة الرستمية

عرف المغرب ظهور عدة فرق إسلامية نتيجة أوضاع سياسية المضطربة خاصة في عصر الولاة مما فتح المجال لاندلاع الثورات تحالف فيها أهالي مع البربر فكانت النتيجة ظهور الدولة الصفرية والاباضية،[1] وفشل الإباضين في الحفاظ على القيروان فتوجهت أنضار الإباضين الى المغرب الأوسط سعينا منهم الى انشاء دولة مستقلة فوضعوا خطة لذلك، فلما وصل عبد الرحمان بن رستم الى المغرب الأوسط كانت له اتصالات مع الإباضين فأجمعو على بناء دولة اباضية ومدينة تكون حصنا لها.

فخرجوا الى احدى المناطق ووقع اختيار على منطقة تاهرت هذه المنطقة التي كان يسكنها قبائل بربرية وأغلب سكانها قائم على المذهب الإباضي،[2] رفض السكان هذه الفكرة في البداية ويعد مشاورات ومفاوضات واستطاع عبد الرحمان بن رستم أن يقنعهم بمنحهم المنطقة مقابل خراج معلوم فكانت الانطلاقة الفعلية لتأسيس الدولة الاباضية، فبدأ الإباضين يعملون بتلك المنطقة من خلال غرس الأشجار وبناء المنازل والأسواق وبناء الفنادق والحمامات وأحاطوها بعد ذلك بسور فكان موضع تاهرت اختيار استراتيجي بالدرجة الأولى،[3] فبنى بها المسجد الجامع وأصبحت مدينة تاهرت مدينة عامرة شهدت كل النشاطات،[4] وكانت هناك عدة أسباب لاختيار موقع تاهرت أهمها أنها مدينة اقتصادية بامتياز بحكم الموقع وبعدها عن الخلافة العباسية فموقع تاهرت كان له دور في حماية من العدو، وكذلك السيطرة على القبائل البربرية التي كانت في المنطقة والقائمة على المذهب الإباضي،[5] من خلال لم شملهم وقد تحقق ذلك بفضل الحنكة العالية لعبد الرحمان بن رستم واستطاع الرستميين بزعامة عبد الرحمان بن رستم أن يؤسس دولتهم بالمغرب الأوسط عاصمة تاهرت سنة 148هـ/765م وبالتالي بدأت الأسس الأولى لبناء الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط.[6]

---

[1] بوزياني الدراجي، دولة الخوارج والعلويين في المغرب والأندلس، ط1، دار الكتب العربية لطبع ونشر، 2007، ص94.

[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص91.

[3] نفسه، ص95-96.

[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج حتى منتصف القرن 4هـ، ط2، دار الثقافة المغرب الأقصى، ص148.

[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص96-97.

[6] إبراهيم بكير بحاز، مرجع سابق، ص91.

امامة عبد الرحمان بن رستم 160هـ/171هـ، 777م/787م:

يعد بناء مدينة تاهرت سنة 148هـ/765هـ، وقيام الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط بزعامة مؤسسها عبد الرحمان بن رستم بدأت تتضح الأسس والمعالم الحقيقية لدولة الرستمية حتى بويع عبد الرحمان بن رستم بالإمامة بإجماع كل الاباضية، الرجل ذو الشجاعة والحنكة،[1] فعبد الرحمان بن رستم بإجماع كل المصادر أن أصله فارسي وهذا ما ذهب اليه ابن عذارى المراكشي أن أصل عبد الرحمان فارسي، وقيل أنه حين عودته الى المغرب فقد أبوه رستم،[2] وتزوجت أمه من أحد الحجاج المغاربة ، فبعد بيعة عبد الرحمان بن رستم بدأ بإقامة علاقات داخلية مع القبائل كسب من خلالها ود ومحبة كل السكان والسلاطين.[3]

وشهد عهد عبد الرحمان بن رستم أحسن وأجمل العهود التي شهدتها الدولة الرستمية فكان عصره عصر نور على الدولة الرستمية لم يشهد له مثيل فعصر عبد الرحمان بن رستم شهدت الدولة الرستمية أزهر أيامها وذلك لشخصية عبد الرحمان بن رستم وعلاقاته الجيدة،[4] فأصبحت الدولة الرستمية واسعة الأطراف متينة الأسس واسعة الأقاليم ذات انجازات حضارية وهذا كله بفضل الامام عبد الرحمان بن رستم الذي كان غاية في الإصلاح سيد في كل القرارات،[5] خاصة ان العامل الديني الذي لعب دوره وقيل أن لعبد الرحمان بن رستم مؤلفات رسائل اخوانيات، تفسير القران، وجواب الخطيب، ومن علامة زهده أنه كان يقوم بأعمال بنفسه كبناء منزل بنفسه.[6]

رغم أنه حكم ثمان سنوات الا أنه في عهده الدولة الرستمية عرف الاستقرار والازدهار خلافة لحكام آخرين.[7]

أما عن نظام الحكم في الدولة الرستمية فكان نظام الحكم اماميا شوريا يقوم على الانتخاب والشورى وقيل أن الامام يساعدوه مستشارون وحفظة بيت المال، وعرف هذا النظام

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص97.
[2] محمد عيسى الحريري، ص91-92.
[3] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الوسيط، ط1، دار النشر مكتبة الإسكندرية، 1999، ص452.
[4] أبو العباس أحمد بن محمد عذار المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط1، دار الغرب، تونس، 2013، ج1، 208.
[5] عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط2، 1985م، ص128.
[6] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص99.
[7] نفسه، ص100.

ظهور نوع من الفتن بين الحكام والأئمة سنتعرف اليه فيما بعد والقاضي كان له السلطة المطلقة في تنفيذ الأحكام والقرارات وبقي هذا النظام طيلة مسار الدولة الرستمية الى آخر أئمتها اليقضان بن يقضان الذي سقطت على يده الدولة الرستمية وفتحت المجال المد الشيعي.[1]

[1] محمود إسماعيل، عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن 4هـ، ط2، دار الثقافة المغرب الأقصى، 1985م، ص156.

المطلب الثاني: أئمة الدولة الرستمية

1-الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمان[1] (180هـ-208هـ/787م-805م):

بعد ما أحس عبد الرحمان بن رستم بقرب أجله انتخب سبعة أفراد ثم عرضهم على الناس لاختيار الخليفة منهم،[2] وذلك أنه اقتدى بالسنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن هؤلاء السبعة مسعود الأندلسي، وعمران بن مروان الأندلسي، سكر بن صالح الشامي، ومصعب بن سدمان وعبد الوهاب بن عبد الرحمان فتم اختيار اثنين منهم عبد الوهاب ومسعود الأندلسي لكن الأغلبية بايعت مسعود الأندلسي،[3] الذي رفض البيعة وتركها لعبد الوهاب الذي بيع امامته سنة 171هـ/190م، وبالتالي حكم الدولة الرستمية حوالي38 سنة وبيع بالخلافة بعد وفاة والده بشهر وهو أعلم علماء الاباضية في وقته،[4] كان متمكنا في العلوم الشرعية وله في الفقه كتاب شهير مسائل النفوسة، وامتاز عهده بقوة الحكم والازدهار الاقتصادي والثروة الهائلة ومن أهم أعماله السياسة وربط علاقات تعاون مع أمير القيروان روح بن حاتم.

فتميزت بالبساطة في التعامل مع الغير وحبه الخير والحنكة السياسية والخبرة الاقتصادية،[5] وكان يقضي وقته كله في ترتيب أمور الدولة، كما عمل مدرس بإحدى المساجد بجبل نفوسة،[6] وعرف بالدهاء والحنكة وثروة زاخرة، وبالتالي فترة حكمة تعتبر أطول فترة في تاريخ الدولة الرستمية،[7] وظهر في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم عدة حركات موالية ضده،[8] كالفرقة النكارية بزعامة ابن قندين التي أنكرت امامة عبد الوهاب طبعا في الامامة وحاولت خلق فتنة فاندلعت معارك وانتهت بهزيمة نكراء لنكارية والتي من بينهم ابن قندين صاحب الحركة نفسه، كما ظهرت ثورة الواصلية بزعامة المعتزلة واصل بن عطاء وكان من أسباب هذه الثورة قتل ابن قندين زعيم النكارية فحاربهم عبد الوهاب بالسيف وقضى على تمددهم،[9]

---

[1] بيع بالخلافة بعد وفاة أبيه عبد الرحمان بن رستم، تميز بالصفات العلم والشجاعة، أنظر الى عبد الكريم جودت، ص33.
[2] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص100.
[3] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص111.
[4] نفسه، ص114.
[5] عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص223.
[6] هي جبال عرفت بالمغرب تمتاز بالطول وعالية على مستوى السطح وقيل أن هناك جبل يتوسط مدينة، أنظر يعقوب الحموي، معجم البلدان، ج1، دار النشر بيروت، لبنان، ص 295.
[7] ابن صغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين في القرن 5هـ، تحقيق إبراهيم بحاز، دار المطبوعات النشر، دط، ص116-117.
[8] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص329.
[9] نفسه، ص330-331.

كما حدث في عهد عبد الوهاب أن هناك قبيلة هراوة حاولت الخروج عن طاعة الامام لكن عبد الوهاب تفطن الى ذلك وتحكم في زمام الأمور وتمكن من حدوث الاستقرار الدولة الرستمية والهدوء.[1]

كما كانت لعبدالوهاب بن الرحمان بعض الأعمال مواجهة أعداء الدولة الرستمية وصد كل ثورات الخارجية وحماية الدولية ونظم علاقات خارجية جيدة فقد صلح بين الرستميين والأغالبة ونجح في إقامة دولته على الهدوء والاستقرار طيلة فترة حكمه التي دامت حوالي أربعين سنة.[2]

2-الامام أفلح بن عبد الوهاب[3] (208هـ-258هـ/832م-871م):

أطول أئمة الدولة الرستمي حكما بويع له بالإمامة اثر وفاة والده عبد الوهاب أيامه كلها كانت زاهية أثناء حكمه لدولة الرستمية فهو أحد الأئمة العارفين في مجال الاطلاع والمواقف الحاسمة، خاصة أنه يستعمل موقف اللين تارة وموقف الفقه تارة أخرى حسب المصالح،[4] فكانت الانتصارات دائما حليفة كما كانت له علاقات خارجية ودية مع الأندلس والسودان من خلال التجارة وغيرها من العلاقات الاقتصادية،[5] وقيل أنه في عهد أفلح بن عبد الوهاب كانت هناك ثورة خلف بن سمح المعافري بن ابي الخطاب، نحو طرابلس كانت هذه الثورة أيام والده فواصل جهوده لإخمادها،[6] كما انتشر في عهد الامام أفلح بعض التيارات المعارضة مثل الحركة التي قادها نفاذ بن نصر النفوسي، وان كانت ترجع هذه الثورة الى سياسة الغيرة والحسد نتيجة استحواذ بعضهم على المنصب دون الاخرين.[7]

كما كان لأفلح بن عبد الوهاب صفات حب الحكم والمناظرة والشجاعة خاصة أن له مؤلفات أهمها رسائل في الأجوبة، ونصائح ومواعظ، كما كانت له مشاركة في الأدب ونظم الشعر،[8] وحدث في عهده الأمن والسلم في الدولة الرستمية ووصلت الى ذروتها من العز

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص113.
[2] نفسه، ص142.
[3] هو أحد الأئمة الرستميين وأطولهم حكما فكانت فترة حكمه زاهية جدا لدولة الرستمية، أنظر محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية حضارتها وعلاقتها الخارجية، ط3، المرجع السابق، دار العلم، 1987م، ص234.
[4] عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص225.
[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص145.
[6] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص106.
[7] نفسه، ص108.
[8] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص330.

والتقدم والرقي حيث بنيت القصور الضخمة وشيدت المباني وتوسعت الضيع والأراضي وانتشرت التجارة والزراعة والصناعة،[1] فيعتبر عهد أفلح بن عبد الوهاب عهد القوة بالنسبة للدولة الرستمية حيث حرص على حماية دولته، وبسط نفوذ السياسي من خلال حنكته وشجاعته كما كانت له علاقات خارجية مع الدولة الأندلسية والسودان خاصة من الجانب التجاري.[2]

كذلك ربطته علاقات جيدة مع دولة الأغالبة، فكانت هناك علاقات تجارية متعاونة بينهما وهذا كان لسياسة الدولتين وحنكة حكام الدولتين واستطاع أفلح بن عبد الوهاب بخروج بدولته الى الاستقرار والهدوء خاصة من خلال القضاء على الثورات،[3] كالثورة بنفاذ النفوسي الذي قضى عليه أفلح بن عبد الوهاب بإضافة الى بعض الصراعات في القبائل التي ثارت ضده وضد امامته.[4]

3-امامة أبوبكر بن أفلح(258هـ-260هـ/871م):

لما مات أفلح بن عبد الوهاب اجتمعوا أهل الحل على تنصيب أبي بكر بن أفلح[5] امام وحاكم لهم فكانت مدة حكمه قصيرة جدا لا تتجاوز السنتين وفي عهده عرفت الدولة الرستمية تحولا ملحوظا في الجانب السياسي والاقتصادي وأصبحت في قمة الثراء والازدهار مما فتح مجال الترف والمجون،[6] فلم يكن أبو بكر على مستوى تطلعات أجداده وعهدهم الذين تميزوا بالحزم والشدة في دينه فكان انسان متسامحا جودا،[7] وكان يحب الأدب والشعر والفنون وحياة المجون والترف التي انعكست عليه فيما بعد، فابتلي أبو بكر بن أفلح بحياة الترف والمجون ونسي أمور الدولة والسياسة،[8]وترك أمور الدولة لأحد الرجال كان في بلاط تاهرت يدعى محمد بن عرفة حيث كانت له علاقة طيبة معه خاصة قيل أنه كان يأخذ له الوادعات الى السودان.[9]

---

[1] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص330.
[2] نفسه، ص331-334.
[3] عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص225.
[4] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص109.
[5] أبي بكر بن أفلح، امام رستمي بيع بالإمامة التي حكمها سنتين، أنظر عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص38.
[6] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص152-153.
[7] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص111.
[8] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص150.
[9] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص102.

وتطورت تلك العلاقات بتزويج أبو بكر ابنته لمحمد بن عرفة[1] مقابل تزويج محمد بن عرفة أخته لأبو بكر بن أفلح فكانت هذه الصهارة لها تأثير سلبي فيما بعد،[2] فكان محمد بن عرفة اليد اليمنى لأبو بكر بن أفلح ويذهب معه في كل خرجاته وزياراته خاصة أنه قيل إن حكم الدولة لمحمد بن عرفة والاسم فقط لأبو بكر بن أفلح.[3]

وبعد استفحال أمر محمد بن عرفة في الدولة وفي كل قرارتها هذا الشيء أثار استياء سكان المنطقة من الوضع وبعد مدة اكتشف أبو بكر بن أفلح أمر محمد بن عرفة أن طمع في الامامة فاستمال وحاول القضاء عليه،[4] وهذا ما حدث فعليا وأحدثت هذه الفتنة تأثير كبير في استقرار الدولة الرستمية وكادت أن تعصف بها لولا عودة أخوه أبو يقضان بن أفلح في مكان والوقت المناسب.[5]

4-الامام أبو اليقضان بن أفلح (260هـ-281هـ/871م-894م):

هو محمد بن أفلح[6] بويع له بإمامته على إثر خروج أبو بكر خارج تاهرت أثناء الفتنة التي وقع فيها أخوه ولما تولى شؤون الدولة عمل على اخماد هذه الفتنة وإعادة الاستقرار لدولة الرستمية، والهدوء وبدأ ينظم شؤون الدولة وإصلاح ما أفسدته الفتنة والحروب الضاربة فعم الهدوء والأمن بكل أنحاء البلاد واستمر في تشييد والمدن والمساكن.[7]

كما كان لأبو يقضان بن أفلح عدة صفات كالزهد والكرم والعدل والشجاعة هذه الأخلاق جعلته ينظم دولته ويقف وراء كل الصراعات ضد الدولة الرستمية، فعاش أبو يقضان طيلة مدة حكمه حاميا ومساعد لدولة الرستمية، وكان له علاقات خارجية جيدة منها خاصة التجارية حتى وافته المنية 281هـ/855م.[8]

---

[1] أحد الرجال الذين كانوا في بلاط الرستميين في عهد أبو بكر بن أفلح، أنظر عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص28.
[2] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص110.
[3] نفسه، ص111.
[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص98.
[5] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص339.
[6] هو محمد بن أفلح بويع له بالإمامة على إثر خروج أبو بكر، تميزت مرحلته بالفتنة والصراعات في الدولة الرستمية
[7] مبارك ميلي محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2، ص78.
[8] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص189.

5-امامة اليقضان بن أبي اليقضان (294هـ-296هـ/906م-908م):

هو اليقضان محمد تولى الامامة في ظروف صعبة جدا فعاش اضطرابات سياسية صعبة وبالتالي كان مهددا الجانب رغم أنه حكم الدولة الرستمية فترة قصيرة جدا لا تتجاوز سنتين،[1] فلم تستقم أموره، ولا يعرف الراحة حتى أنه تولى الامامة بعد اغتيال خوه من طرف أبناءه مما ولدت فتنة دخلت فيها الدولة الرستمية وأثرت على استقرارها، هذه الفتنة فتحت الباب لدخول العدو الخارجي،[2] خاصة أنه بقي متهاون في الحكم ما فتح المجال للمد الشيعي الى دخول للدولة الرستمية والقضاء على اليقضان بن اليقضان 296هـ/909م على يد عبد الله الشيعي الذي دخل تاهرت وانهارت الدولة الرستمية بسقوط آخر أئمتها اليقضان بن اليقضان 296هـ/909م وهو تاريخ نهاية الدولة الرستمية.[3]

[1] عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص228.
[2] نفسه، ص229.
[3] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص338.

المطلب الثالث: سقوط الدولة الرستمية

بدأت تتضح معالم نهاية الرستمية بعد تولي اليقضان بن أبو اليقضان[1] الحكم الذي دام سنتين هذا الامام أبو اليقضان الذي سهل المهمة الى العدو والفتن الخارجية وذلك بسبب سياسية التي انتهجها في الحكم وبسبب الظروف الاتي حكم فيها فلم يستطيع اخماد تلك الفتن والصراعات،[2] ودخول الائمة الرستميين في الصراعات على الحكم والأطماع الخارجية لدولة الرستمية، كذلك سياسته القائمة العدل والتسامح والتعاون ما سهل نهاية دولته بسرعة،[3] فمن أهم أسباب سقوط الدولة الرستمية هي علاقة المتوترة مع الدولة العباسية، وكذلك ضعف الأئمة المتأخرين خاصة فتح مجال العدو الخارجي كذلك الفتن والصراعات النزاع على السلطة وخير مثال على ذلك بنت الامام أبو حاتم التي شاركت في الثورة،[4] وحملت أبو عبد الله الشيعي[5] ضد الدولة الرستمية ومن العوامل وأسباب السقوط عدم تكوين جيش منظم محترف لها وضعف جهازها الحكومي والعسكري،[6] وكذلك عوامل داخلية كالفرقة النكارية التي ظهرت في عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم فكانت سبب في دخول الفتن والصراعات للدولة الرستمية وخطر الدولة الفاطمية الذي استفحل بعد سيطرة عبد الله الشيعي على منطقة الزاب.[7]

ونقول كحوصلة أن الدولة الرستمية التي دام حكمها أكثر من 136 سنة استطاعت أن تؤسس لنفسها مكانة داخلية خارجية فكانت دولة تمتاز في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ونقول إن نهايتها كانت خسارة للمغرب الأوسط خاصة أنها أول دولة مستقلة ظهرت بالمغرب الأوسط أي استقلت دولة بوحدها.[8]

---

[1] آخر أئمة الدولة الرستمية ودخلة الدولة الرستمية بسببه في الفتن والصرعات، أنظر عبد الحميد حسن حمودة، مرجع سابق، ص80.

[2] امحمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص200.

[3] عصام الدين عبد الرؤوف، الفقه، مرجع سابق، ص89.

[4] عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص233.

[5] هو أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي، وله عدة ألقاب منها الداعي والمحتسب، أنظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، دار صادر بيروت، ص38.

[6] منصف قوجة، مرجع سابق، ص39.

[7] عرفت هذه المنطقة حول منطقة بسكرة وقيل إنه محور له، أنظر حسن عبد الوهاب، تاريخ تونس، ص58.

[8] عبد الرحمان الجيلالي، المصدر السابق، ص233.

المبحث الأول: أهم النشاطات الاقتصادية للدولة الرستمية

المبحث الثاني: علاقات الدولة الرستمية الاقتصادية

المبحث الأول: أهم النشاطات الاقتصادية للدولة الرستمية

المطلب الأول: الزراعة

تميز نشاط الزراعة والرعي في الدولة الرستمية بالرقي والازدهار حيث اهتم بنو رستم بهذا النشاط من خلال اختيار موضع تاهرت إقليميا لدولة الرستمية، حيث تستقر القنوات وأقاموا السدود والأنهار،[1] وبدأ الرستميين بالتوسع من خلال المياه المتوفرة عن طريق الأمطار فضلا عن التربة الصالحة التي ساعدت في إيجاد بنية زراعية ناجحة،[2] كما ساعدت الظروف الطبيعية الملائمة على ازدهار النشاط الزراعي في المغرب الأوسط في العهد الرستمي، خاصة منها الظروف الجغرافية حيث كانت منطقة تاهرت، منطقة مرتفعة تتميز بالجو البارد وكثرة الأخداد والضباب والأمطار.[3]

كما أن توفر المياه كان له الأثر البليغ في تكوين السهوب الخصبة بالمغرب الأوسط خاصة تاهرت مثل سهول بجنوب تاهرت[4] وقد اعتنى بنو رستم المياه الوفيرة المتدفقة الى مدينتهم.[5]

كما ذكر ابن عذار المراكشي في كتابة البيان المغرب في ذكر أنبار الأندلس والمغرب أنه كان بتاهرت بساتين ومختلف أنواع الأشجار وهي شديدة البرودة كثيرة الأمطار،[6] وتميزت تاهرت بأنواع أخرى من المحاصيل كالفاكهة السفرجل وعرفت بعض المناطق التابعة للدولة الرستمية كأهل جبل نفوسة بزراعات كالزيتون والكرم والشعير والخضر والفواكه.[7]

فنقول أنه عرفت الدولة الرستمية ازدهار في مجال الزراعي لتوفر الظروف والمعطيات المناسبة فقد وصف المقديسي تاهرت بقوله " فانتعش فيها الغريب واستطابها فيها اللبيب بفضل موقفها الجغرافي العام الذي يربط ويتوسط الجبال والسهول الزراعية الخصبة"،[8] وهذا ما يدل

---

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص231.
[2] محمود إسماعيل عبد الرزاق، مرجع سابق، ص200.
[3] نفسه، ص223.
[4] تاهرت هي منطقة عظيمة كانت تسمى بالمغرب الأوسط ولها أربع أبواب وهي على نهر سيلة وتنس، أنظر ياقوت الحموي معجم البلدان، 32، ص18.
[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص231-232.
[6] يحي بوعزيز الموجز في تاريخ الجزائر، دار المطبوعات، ط1، الجزائر، 2007، ج1، ص184.
[7] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص232.
[8] شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ-1991م، ص83.

على أهمية منطقة تاهرت، كما قيل أن تاهرت أصبحت قاعدة الدولة الرستمية وهذا الذي لوحظ عليها حيث ذكر القلقشندي في كتابه صبح الأعشى في صناعة الانشاء أن تاهرت قاعدة بني رستم فيها البساتين والمزارع ليس لها نظير، وقال أن تاهرت كثيرة البرودة وكثيرة الغيوم والثلج مما يساعد على الإنتاج زراعي وفير يساعد على ازدهار الجانب الاقتصادي لدولة الرستمية.[1]

كما تميزت تاهرت بمجموعة من المحاصيل الزراعية حيث اشتهرت بإنتاج الغلات وتنوع محاصيلها كتنوع الأشجار واسعة الثمار، حيث زرع بتاهرت الكتان والسمسم وغيرها من الحبوب الأخرى، وزرع في تاهرت الفواكه الطبيعية اللذيذة،[2] ويقولو البكري: وفيها جميع الثمار، وقيل أن العبيد السود كانوا يعملون في الفلاحة في زراعة الأرض حيث أن الدولة الرستمية جلبتهم من السودان الغربي واعتنت بهم،[3] وعرف عن أن أشجار وبساتين تاهرت تنتج ضروب من الغلات: أي أن منطقة تاهرت لم تكن مقتصرة على القلات الصغيرة كالبساتين والأشجار المختلفة وانما منطقة زراعية لكل أنواع الحبوب وذلك لكثرة المياه وبرودة مناخها،[4] كما يذكر أنه بتاهرت باب يعرف بباب المطاحن، بمعنى دلالة على وجود زراعة الحبوب، كما كان تاهرت يزرع النخيل حيث يقول بن الصغير أن سكان تاهرت كانوا يملكون على مقربة من المدينة حقلا جمع فيه الأشجار والأنهار والمزارع والنخيل فهي تجمع بين المزروعات التلية والمزروعات الصحراوية، كما تميز الجزء الجنوبي الغربي لتاهرت نفس المميزات بأرض خصبة واسعة.[5]

كما عرفت الدولة الرستمية عدة طرق في الزراعة من بينها المناوبة بمعنى يزرع النصف الأول ويترك النصف الثاني بورا أو العكس في الموسم الأخر، وكانت هذه الطريقة مقتصرة على أصحاب الملكيات الكبيرة، وكان الفلاحون يستعملون أدوات عديدة من اجل أعمالهم الفلاحية ومنها المحراث الخشبي والذي يجرو بالبقر في الغالب، كما استعملت الجواريف الكبيرة التي تجرها البقرة واستعمل المنجم للحصاد ويعملون كذلك على تسوية الأرض من المكان المرتفع الى المكان المنخفض،[6] وكذلك كان الفلاحين يقومون بحماية الأشجار من

[1] أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ط1، الحذيوية، القاهرة، ص52.
[2] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص332.
[3] أبي عبد الله البكري، المسالك والممالك، دار العربية للكتاب، ط1، 1992م، ج1، ص1327.
[4] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص339.
[5] إبراهيم بحاز بكير، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، نشر جمعية التراث، 1993، ص143-144.
[6] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 22.

خلال اعتماد على نظام سقاية ورقابة مناسب لباستين المثمرة، كما انتشرت بتاهرت ما يعرف بالحاصلات الزراعية المتنوعة والوفيرة وهذا استيسر اغلب المصادر الجغرافية،[1] مما ساهم في توفر المنتوجات وتنوعها كما كان نظام السقاية والري في الدولة الرستمية له دور مهم في رفع الإنتاج وتنوعه فقد اعتمد المزارعون في زراعتهم وجني محصولهم على مياه الأنهار والوديان والأبار فخاصة أن حكام الدولة الرستمية اهتموا بهذا الجانب وساعدوا الفلاحين على ذلك، فأقام الحكام الرستميين خزانات للمياه وأحواض بطريقة محكمة وكذلك خوفا من انتشار الجفاف في المنطقة ومن بين أهم المحاصيل الزراعية بتاهرت عاصمة الدولة الرستمية. [2]

القمح والشعير عرفت انتشارا في الدولة الرستمية لأنها تعتبر الغذاء الأساسي لسكان المنطقة وزراعتها لا تتطلب مجهودات كبيرة جدا وتزرع هذه المحاصيل في أراضي خصبة صالحة للزراعة تحقق المنتوج الوفير أو توفرت لأسفار خاصة، بإضافة أن لهذه المادة القمح والشعير مواصفات يمكن المحافظة عليها لعدة سنوات وشهور دون أي مشكل.[3]

الفواكه كانت توجد بالمغرب الأوسط خاصة تاهرت عدة فواكه متنوعة خاصة العنب والرمان، ولعلى أشهر فاكهة عرفت بها تاهرت السفرجل وخاصة أنها لهذه المادة استعمالات أخرى اشتهرت هذه الفاكهة بقوة في تاهرت حتى أصبحت تاهرت تصدر الى الخارج منتوجات.[4]

الزيتون عرف تاهرت بقوة لذلك لتوفر مياه الأمطار ونظام السقي الذي يستعمل فكان لهذه الشجرة الأهمية خاصة أن الزيت يستعمل في الطعام.[5]

كما عرفت تاهرت مجموعة من الخضروات لعل أهمها البصل والثوم، والكرنب والسلق والخس وغيرها مثل البذنجال والبقول كذلك وجدت في بساتين الدولة الرستمية كاللوبياء،[6] كما كان الانتشار الكثيف لغابات في تاهرت ساعد على انتاج الكثير من النباتات ولعل أهم النباتات العرعار والبلوط والصنوبر والخشب الذي استعمل في الصناعة.[7]

---

[1] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص24.
[2] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص149.
[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص184.
[4] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص293.
[5] الدرجيني، المرجع السابق، ج1، ص293.
[6] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص43.
[7] القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص111.

كذلك عرفت تاهرت بالنباتات الزراعية كالكتان الذي وجد بكثرة في تاهرت حتى قيل إنه وجد في مزارع تاهرت نباتات طبية أي تستعمل لجانب الطبي خاصة أمراض الحصى وتسكين ألام الأسنان وغيرها من الأمراض الأخرى فكانت تاهرت قطبا اقتصاديا.

ونقول إن عوامل ساعدت نمو وتطور الإنتاج الزراعي في تاهرت لعل أهمها الموقع الاستراتيجي والاستقرار السياسي الذي لعب دوره من خلال اهتمام الحكام بالجانب الزراعي فقد ذكر أنه في عهد عبد الرحمان بن رستم عرفت تاهرت منتوج زراعيا لا يحصى حتى أصبحت تأكل وتصدر الى الخارج.

أما نشاط الرعي في بلاد المغرب الأوسط خاصة تاهرت عرف نشاط كبير وازدهار لم يكن له مثيل حيث عرفت تاهرت أنها تحمل المرتبة الأولى في تربية الماشية،[1] حيث يقول ابن حوقل أحد معادن الدواب والماشية والبقال هي مدينة تاهرت وعرف بها العسل والسمن.[2]

وتشير بعض كتب الاباضية بعدة إشارات الى وفرة أغنام في تلك الفترة خاصة ما أخبرنا به شماخي عن لبيب بن زلفين أحد ملاك الماشية فقد كان له ثلاثون ألف ناقة، و300 شاة واثنا عشر حمار،[3] ووقف صاحب الاستبصار عن الماشية في تاهرت فقال فهي كثيرة الغنم والماشية وقال أن توفر الماشية تاهرت نتيجة رخصها وطيب لحومها وأكدت ذلك المصادر الجغرافية وتوفر الماشية بتاهرت وتنوعها.[4]

وترتبط تربية الماشية ارتباطا وثيقا بالنشاط الفلاحي في تاهرت حيث ترتب عن ذلك كثرة الأغنام وفتح المجال الى تصديرها الى المغرب والأندلس، والرعي كان النشاط الأساسي لسكان الصحراء ومورد الأساسي لأغلب سكان الدولة الرستمية وتعتبر مصدر رزقهم.[5]

كانت تربية الماشية والرعي نشاط مهم في الدولة الرستمية وكان له ارتباط مهم مع نشاط الرعي، فالتنوع وانتشار المزارع والمحاصيل الزراعية مما يساعد على توفر الثروة الحيوانية وتنوعها وبقائها لأطول فترة ممكنة،[6] حتى وصفت في بعض المصادر كالبلدان لليعقوبي لقوله

[1] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص 147.
[2] أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، ط1، دار الصادر، بيروت، ج1، ص83.
[3] أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تح أحمد بن مسعود الشماخي، ط2، دار الصادر بيروت، 1412هـ/1992، ص105.
[4] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص 106.
[5] محمد حسن حمودة، المرجع السابق، ص334.
[6] ابن الصغير، المصدر السابق، ص158.

أن تاهرت بلد زرع وضرر وهذا ما يدل على توفر الثروة الحيوانية بتاهرت وتنوعها كما أن للثروة الحيوانية كانت لها منافع على الدولة الرستمية خاصة أنه استعملت بعض جلود الحيوانات لصناعة الملابس وكذلك الاستفادة من حليبها لصناعة الجبن ومشتقاته،[1] كما كانت بعض الحيوانات لها دور في بعض الأمراض مثل تربية النحل حيث استفادوا من عسله للتداوي من الأمراض وغيره،[2] ولعلى من أهم الحيوانات التي كانت متوفرة في تاهرت الخيول والبقال وتربية النحل وخاصة تربية المواشي الأغنام التي عرفت انتاجا ونجاحا كبير.[3]

فأصبحت تاهرت منطقة هامة في تربية الماشية فكان السكان يهتمون بهذا النشاط ولهم خبرة في ذلك، دون أن لا ننسى اهتمام الحكام والرستميون بهذا النشاط فقد كان أبو اليقضان وعبد الوهاب الأئمة الرستميين يملكون الدواب والماشية بمنطقة تاهرت وكانوا العبيد يستخدمونه في تربية الأغنام والعناية بها حتى قيل أن اليعقوب بن أفلح بتاهرت كان يملك مزرعة، وهذا ما يدل على تربية الحيوانات بالدولة الرستمية وتوفرها ولا ربما ساعدة الظروف والعوامل على ذلك أهمها توفر الاستقرار السياسي والأمن وكذلك اهتمام الأئمة الرستميين بذلك حتى قيل أن بعض الحيوانات كان لها دور كاستخدام وسيلة نقل وتجارة كالجمل والحمار،[4] واتساع الرقعة الجغرافية لتاهرت كان عامل مهم في انتشار هذا النشاط والازدهار دون أن لا ننسى المناخ خاصة منطقة تاهرت منطقة باردة وتعرف بكثرة الأمطار والثلوج حتى قيل أن النشاط الرعوي عظم شأنه خاصة،[5] في القران الكريم بقوله تعالى ((كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ))[6] وقوله تعالى ((وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ)).[7]

وعرفت مهنة تربية الحيوانات في الدولة الرستمية تنظيم محكم حيث كان يكلف راعي وأجير يقوم بمهام تربية الحيوانات مثل الأغنام،[8] كما كانت تخصص لهم أراضي خاصة بالرعي وقد يعد رعيا عشوائيا لبعض أراضي عامة كما كانت تدفع الأجرة للأجير أو للراعي وكانت تعرف تاهرت بأجرة سنوية يعني الدفع في نهاية كل سنة وهذا كان معروف في الدولة

[1] ابن الصغير، المصدر السابق، ص180.
[2] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص65.
[3] نفسه، 128.
[4] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص86، 89.
[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص 106.
[6] سورة طه، الآية، 54.
[7] سورة النحل، الآية، 05.
[8] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 55.

الرستمية، كما عرفت مهنة تربية الأغنام في الدولة الرستمية عملية ترحال حسب الأجواء المناخية الصيف والشتاء وحسب العوامل المناخية المساعدة ومنه نقول أن تاهرت الرستمية شهدت نشاط كبيرا في الزراعة وذلك لعدة عوامل منها موقع تاهرت الاستراتيجي والمناخ المناسب والمعتدل.[1]

المطلب الثاني: الصناعة

لقد عرفت الصناعة في زمن الدولة الرستمية ازدهارا كبيرا خاصة أنها أصبحت تلبي احتياجات المجتمع حيث انتشرت بتاهرت مجموعة من الصناعات والحرف المختلفة،[2] وذلك لعدة عوامل ساعدة على ذلك منها توفر اليد العاملة واهتمام الأئمة الرستميين بالنشاط الحرفي والصناعة واعطائه أولوية كبيرة وقد أوردت الكثير من المصادر عن وجود صناعات وحرف،[3] في الدولة الرستمية ويمكن تلخيص أهم الصناعات التي انتشرت في الدولة الرستمية في تاهرت.[4]

الصناعات النسيجية:

والتي عرفت تاهرت صناعة النسيج اذي كان يقوموا أساسا على انتاج الحرير والصوف والأكتان حيث كانت هذه الصناعة تنتج أنواعا من الملابس والأفرشة وقيل أن المرأة الماكثة في بيتها أو خيمتها، كانت تقوموا بغزل الصوف وهذا ما يوضح توفر هذه الصناعة وتنوعها كما وجدت عدة أشكال وأنواع للصناعات النسيجية كصناعة الحرير واستعملت في هذه الصناعة أدوات كالمناسج والمغازل لغزل الصوف وطرحه.[5]

الصناعة الجلدية: عرفت هذه الصناعة اهتماما وانتشارا في الدولة الرستمية وذلك لتوفر الثروة الحيوانية خاصة أن جلود الحيوانات كالماشية تصنع منها الأغطية والسروج وكذلك الطبول وأدوات فقط المواد السائلة.[6]

---

[1] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص338.
[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص231.
[3] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص84.
[4] ابن الصغير، المصدر السابق، ص82.
[5] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص145.
[6] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص339.

الصناعة الخشبية: ونظرا لتوفر مدينة تاهرت على ثروة خشبية أسهمت في ظهور صناعة الخشب والنجارة فكان النجارون يصنعون مختلف الآلات والأدوات والوسائل الخشبية كالصناديق الخشبية والأبواب وغيرها،[1] ولدينا كذلك الصناعات الفخارية وتعتبر هذه الصناعة واحدة من أبرز الصناعات التي انتشرت في الدولة الرستمية خاصة منها الأواني الخزفية التي وجدت في تاهرت بقايا أثر لحصون وهذا ما يدل على توفر هذه الصنعة بالدولة الرستمية وانتشارها بشكل كبير كعديد من الصناعات.[2]

الصناعة المعدنية:

عرفت انتشارا كصناعة الأسلحة والسيوف والسفن والقوالب والخناجر وأبواب المدينة خاصة أن هذه الصناعة تحتاج الى مواد خام متوفرة،[3] فقد قيل أنه وجد بعض السيوف والخناجر في بيوت الحكام الرستميين كبيت عبد الرحمان بن رستم وكذلك صناعة الذهب والفضة خاصة أن هذي الصنعتين لها علاقة تجارية وكان لابد من توفرهما وانتشارهما،[4] وكان يصنع منها الخلاخل للنساء والنقود والخواتم الذهبية رغم أن هذه الصناعة كانت منتشرة اكثر لدى فئة الأثرياء،[5] كما وجدت بتاهرت الصناعة الرصاصية أي صناعة الرصاص والصناعة النحاسية أي صناعة النحاس، كما عرفت ببعض التسميات لبعض الصناعات مثل أنه كان في تاهرت باب يعرف بباب المطاحن دلالة على وجود صناعة طحن الحبوب في تاهرت،[6] كما ظهرت صناعة الصباغة أي أن صناعة المنسوجات تم صبغها يؤدي الى ظهور عدة أنواع من المنسوجات وأعطتها جاذبية أكبر فكانت الصبغة كثيرة الاستعمال في المنتوجات النسيجية للحصول على الألوان المختلفة، حتى قيل أن مهمة الصياغة كان لها سوق خاص بها، كما عرف في تاهرت مهنة الحياكة أو الخياطة وكذلك باستعمال الأدوات لغزل الصوف والكتان.[7]

[1] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص99.
[2] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص250.
[3] محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص184.
[4] نفسه، ص 185.
[5] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص108.
[6] نفسه، ص109.
[7] عبد الكريم جودت، المرجع السابق، ص110، 111.

كما انتشرت بتاهرت عدة مهن نلخصها كالتالي:

الخبازين: كانت مهنة الخبازين معروفة في تاهرت ويصنع الخبز بطريقتين واحدهم في المنزل وطريقة الثانية الطريقة التقليدية في الفرن فكان الأفران بنوعيها منتشرة بتاهرت،[1] وكانت هذه المهنة للمرأة لها دور كبير فيه، حيث كانت تحضر وتعجن الخبز في المنزل وتحضره.[2] كذلك الفرانين هذه المهنة اختص أصحابها بصناعة أدوات الخبز وهي الغربال الذي يساعد على غربلة القمح المستعمل في تحضير الخبز، ولدينا مهنة الطباخ عرفت هذه المهنة تطورا واتساعا كبيرا في الدولة الرستمية، ومهنة العطار انتشرت هذه المهنة في تاهرت وهي مهنة لبيع العطر وخاصة هذه الحرفة عرفت تخصص أي وجد سوق للعطارين، ومن المهن مهنة عصر الزيتون حيث وجد بتاهرت عدة معاصر للزيتون فكانت هذه المهنة شاقة وتتطلب وسائل وطرق حديثة فمعاصر الزيتون كانت تدور كالمطاحن التي تستعمل في دورانها الماء أو الدواب وكانت تستخرج الزيتون من أحسن النوعيات وكانت تخزن في جرارة.

ومن المهن كذلك صناعة الحصير وهي صناعة أثاث البيت وكان تصنع من الحلفاء والنخيل وقد عرف أن عبد الرحمان بن رستم كان في بيته أثاث من صناعة الحصير وهذا ما ذكره ابن صغير فكانت تستعمل للصلاة.

الجزار: وجدت هذه المهنة في تاهرت وهذا ما ذكره ابن صغير الذي قال وأشار أن وجود قصبتين في تاهرت وقيل إن أصحاب هذه المهنة كانوا يلبسون لباس خاص بهم كذلك وجدت في تاهرت مهنة اللبان أي الذي يبيع الحليب ومشتقاته.

ومن المهن مهنة الدباغة أي دبغ الجلود وكانت تستعمل في ذلك قشور الرمان والشب والصماغ وغيره، كما وجدت بتاهرت مهنة البناء والصيد هذين المهنتين عرف انتشارا كبيرا بتاهرت خاصة أنهما متعلقان بالفرد وكان الصيد بنوعين الصيد البري والصيد البحري،[3] فذكر صاحب الاستبصار أن الصيادة يخرج الصنارة وهذا ما يدل على وجود هذه الحرفة في تاهرت.[4]

[1] محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص181.
[2] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص109.
[3] نفسه، ص110-116.
[4] مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ص109.

كما انتشرت مهنة النخاسين أي مهنة بيع الحيوانات فعرفت تاهرت سوق لهذه المهنة فكان يباع الحيوانات كالبقر والأغنام ويباع كذلك العبيد والجواري،[1] كما انتشرت بتاهرت مهنة الحمامي أي كانت الحمامات منتشرة وكان الرجل يعمل في الحمام يدعى المتقبل أو الحمامي والأخر الدلاك والرجل الثالث يدعى الزبال ومهنته اشراف على نظافة الحمام، بالإضافة الى مهن لا يمكن حصرها كالقصاصيون وهم الذين يجتمعوا الناس لاستماع لقصصهم وروايتهم، وكذلك النكازون وهم محترفو النكازة واذكاء معرفة الغيب،[2] وكانت مهنة التنجيم منتشرة في تاهرت في ذكر أن الامام أفلح بن عبد الوهاب كان منجما وهذا ما ذكره أبو زكرياء الذي قال أنه بلغ أفلح في حساب والنجامة مبلغا عظيما.[3]

كما عرفت تاهرت صناعة الأواني أي صناعات يدوية كما عرفت الخزفية وكذلك أدوات البناء القصور وغيرها،[4] وكان صاحب المحا او صاحب الصنعة يسمى بالمعلم ويأتي بعده التاجر أو الأجير وثالث في المحل بعده هو الصبي وهو يأخذ أجرة نظير تعلمه وكان لأصحاب الصناعات أي لباس خاص بهم وبمهنهم كلباس الخبازين يختلف عن لباس الحدادين،[5] وهكذا يمكن القول أن الصناعة في بلاد المغرب الأوسط وخاصة الدولة الرستمية عرفت انتعاش وازدهار ساهم في اقتصاد في الدولة الرستمية ونظرا لتوفر الشروط والعوامل اتي ساعدت على ذلك خاصة ما تعلق بالإنتاج الرعوي الذي ساهم في انتاج الصوف والجلود وتوفرت الغابات التي ساهم في انتاج أشجار وظهور صناعة النجارة والخشب وغيرها من الصناعات الأخرى.[6]

المطلب الثالث: التجارة

كانت التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية للدولة الرستمية وذلك لعدة عوامل من بينها الاستقرار السياسي والأماني على النفس المال وحسن تسيير الحكام ودورهم في انتعاش التجارة،[7] حيث مارس الأئمة الرستميين التجارة، فكان الامام عبد الوهاب تاجرا وكذلك ابنه

[1] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص134.
[2] نفسه، ص117-118.
[3] أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، المصدر السابق، ص138.
[4] الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص119.
[5] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص120.
[6] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص188.
[7] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص128.

أفلح كما أخرج الامام الرستمي أبو اليقضان وابنه أبو حاتم[1] الى التجارة فإحدى القوافل التجارية الخارجية من تاهرت الى المشرق وهذا ما يدل على اهتمام الدولة الرستمية بالتجارة،[2] بالإضافة الى رفع القيود كالضرائب على التجار الذي ساهم في انتعاش التجارة الخارجية،[3] وكذلك عوامل اجتماعية ساهمت في التجارة مثل سكان المدينة يتبادلون السلع مع سكان الريف والموقع الاستراتيجي لمدينة تاهرت يعتبر أهم عامل في تنشيط التجارة،[4] خاصة أن تاهرت تقع بين طريقين مهمين من أشهر الطرق التجارية وهو الطريق الرابط بين المشرق والمغرب الأقصى والطريق الرابط بين السودان وشمال الأندلس وأوروبا.[5]

كذلك عوامل التي ساعدت التجارة في الدولة الرستمية الخبرة التجارية للسكان الأصليون كذلك اهتمام التجار الأجانب الذين جاءوا الى تاهرت بسبب توفر الأمن والسلم بتاهرت حيث ساهموا في تنشيط التجارة الخارجية،[6] دون أن لا ننسى التنظيم المحكم للأسواق بمعنى كل سوق مكان معين ويخصص له سلعة معينة فأصبحت تاهرت قطبا تجاريا هاما تخرج منه مختلف السلع والخدمات عبر مختلف القوافل التجارية،[7] عبر السواحل كمرسى تنس ومن بين السلع التي كانت تصدر في هذا الميناء المحاصيل الزراعية كانت تحمل على السفن،[8] كما كانت تاهرت أسواق عاملة بمختلف البضائع وتحولت بعض الأسواق في المدن الرستمية الى أسواق بارزة كسوق دار إبراهيم،[9] فانقسمت حركة الصادرات والواردات الدولة الرستمية فكانت صادرات الدولة الرستمية الجلود والماشية وكانت تاهرت تستورد الكتب من المشرق لكثة علمائها وقرائها وكذلك جلب الخدم والجواري والسيوف.[10]

وبالتالي نقول أن التجارة في العهد الرستمي كانت مهمة وهذا ما يذكره الادريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الافاق بقوله: ولهم تجارات وبضائع أسواق عامرة،[11] ولعل من

---

[1] هو أبي حاتم يوسف بن يقضان محمد بويع له الامامة بعد وفاة أبيه وبقي في الخلافة 14 سنة، وذكر أنه في عهده كانت الدولة الرستمية مستقرة أنظر الشماخي، السير، ص222.
[2] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص338.
[3] ابن الصغير، المصدر السابق، ص99.
[4] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص88.
[5] الحبيب الجنحاني، المرجع السابق، ص98.
[6] نفسه، ص97
[7] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص129.
[8] نفسه، ص130.
[9] عبد الحميد حسن حمودة، المرجع السابق، ص339.
[10] نفسه، ص143.
[11] الشريف الادريسي، المصدر السابق، ص103.

أهم البضائع التي كانت تصدر الغنم، الصوف، السمن، والألبان المجففة وتستورد تاهرت الحبوب، القمح، الشعير بالإضافة الى بعض المواد ذات الاستهلاك اليومي كالملح، والسكر، والزيت وغيرها كالاستعمال الموسمي كالعسل وبعض الفواكه والاستعمال الضروري كالأفرشة والألبسة.[1]

وقيل أن أسواق تاهرت كانت تعرف الاختصاص في المصانع فهناك سوق النحاس، وسوق الأسلحة، وسوق الأقمشة وغيرها، كما كانت التجارة تدار بأنواع المكاييل والموازين، كما وجدوا العملة حيث قال عبد الرحمان الجيلالي العملة باسمهم كما قال الأئمة الرستميين بإنشاء بيوت الأموال حيث كان يوجد بيت مال مركزي بتاهرت مع دار زكاة وكذلك الاموال كانت مصادرها الجزية، الخراج، الضرائب، والرسوم التي توفر على القوافل التجارية والحرفيين.

كما كانت علاقات تجارية لدولة الرستمية مع عدة دول كالسودان الغربي والمغرب الأقصى بسجلماسة، وغيرها من المدن وهذا ما يدل حنكة الحكام الرستميين الذين قدموا تسهيلات لدول المجاورة.[2]

كما عرفت تاهرت أنواع أصناف من التجار ومنهم التاجر الخزان والذي يخزن السلعة ويبيعها عندما ترتفع الأسعار والتاجر الركاض والذي يتنقل بين بلد وآخر أو مدينة الى أخرى بحثا عن سلعة للمتاجرة.

والتاجر المجهز أي يكون لهذا التاجر وكيلا خارجيا يسهل ويجهز له السلع ويقدمها للتاجر أو صاحب السلعة.

كما كان نظام ينظم السلع والخدمات فكانت هناك سلع محلية من انتاج محلي واما مستوردة وكل سلعة تباع على حدة فكانت غالبية السلع المستوردة تباع كالطبقة الأثرياء وأصحاب الأموال، كالجواهر والعبيد وغيرها.[3]

أما المنتوجات المحلية فكانت تشكل عصب التجارة الخارجية وأغلبها سلع حيوانية ونباتية فيذكر ابن صغير أن في عهد الامام عبد الرحمان بن رستم بيعت الشاة والبعير، كذلك الفواكه

[1] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص146.
[2] نفسه، ص148-150.
[3] يوسف جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص148.

كانت من بين السلع التي يتاجرون بها حيث ذكر أنه عرف بأسواق تاهرت نظام أسعار خاص بالمواد التجارية وهو نظام له علاقة بالجانب الاقتصادي لدولة الرستمية.[1]

كما عرف بتاهرت السمسار الذي يلعب دور الوسيط بين البائع والمشتري وهذا انتشر في أسواق تاهرت كذلك عرف مشرف السوق ويرد بذلك المحتسب،[2] ولقب مشرف السوق بالصاحب الشرطة في تاهرت في عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب فكانت مهمته حمايته السوق والاشراف على الأسعار، كما خضعت التجارة في تجارة الأنعام والأوزان والمكاييل كالرطل والأوقية والدرهم والقراط والقنطار، أما نظام المكاييل فالدينا المد والمدي والعفير ونصف العفير، ربع النصف، الربع، الثمن كلها أدوات ساهمت في التعامل التجاري في الدولة الرستمية، والصاع الذي ذكره الدرجيني أنه أداة كيل وهي ثمن الصاع وهي عبارة عن أربعة أرباع وكل ربع يساوي محتوى أربعة كيلو غرام بحسب الوزن الحديث، بإضافة الى موازين ومكاييل أخرى لا يمكن حسرها واستعملت في الجانب التجاري للدولة الرستمية مما ساعدها على الازدهار وتنشيط التجارة الداخلية والخارجية.[3]

فأصبحت تاهرت قطب للتجارة حيث سميت بعض المصادر بالعراق المغرب فأتساع نظامها وأمن طرقها فتحت الباب للازدهار المنطقة خاصة، التجارة الأجانب الذين كانوا يأتون الى تاهرت لتوفر الأمن واهتمام الأئمة الرستميين بهم فأصبحت الدولة الرستمية مركز تجاري لمختلف القوافل التجارية المتنوعة، ونقول أن التجارة في الدولة الرستمية عرفت ازدهارا لم يسبق له مثيل فأصبحت الدولة تنتج وتصدر بنفس الوقت مما ساهم رقي اقتصاد الدولة واقتصاد المغرب الأوسط عامة.[4]

[1] نفسه، ص70.
[2] يوسف جودت عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية، المرجع السابق، ص166.
[3] ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ، ط1، دار الكتب للنشر، بيروت، ط1، ج1، ص88.
[4] يوسف جودت عبد الكريم جودت، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية، المرجع السابق، ص187.

المبحث الثاني: علاقات الدولة الرستمية الاقتصادية

المطلب الأول: علاقة الدولة الرستمية مع بني مدرار بسجلماسة

تميزت علاقة الدولة الرستمية بالدولة المدرارية بسجلماسة[1] بعلاقات تربط المحبة والود والتعاون حيث قامت الدولة المدرارية بسجلماسة على المذهب الصفري والرستميون على المذهب الإباضي وبالتالي ينتمون الى المذهب الخارجي مثلهم مثل الرستميين ولذلك سعت كل دولة الى كسب واحترام وود الدولة الأخرى،[2] فتسمت العلاقات بالطابع الودي المتمثل في حسن الجوار وهذا ما تجسد من خلال تزويج أي المصاهرة بينهما من خلال تزويج بني مدار ابنهم اليسع بن ابي القاسم بابنة عبد الرحمان بن رستم أروى الذين أنجبا ولدا يسمى ميمون الذي حكم سجلماسة فيما بعد وبالتالي كان لهذا الزواج غرض التقارب بين الدولتين،[3] ونذكر أن العلاقات بين الدولة المدرارية والرستمية كانت جيدة جدا فكانت تعتبر سجلماسة منفذا هاما بالنسبة للدولة الرستمية الى بلاد السودان فكانت تنقل تجارة الرستميين الى بلاد المجاورة على طريقها كما أن بنو مدرار يشعرون بأهمية الرستميين خاصة أن لها عدو قوي وهو المتمثل في دولة الادارسة الذين كانوا يحاربون أصحاب النحل المتطرفة من أمثال الخوارج،[4] فقد قضت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى على الخوارج مما زاد مما زاد تخوف الدولة المدرارية وهذا ما جعلها تقترب من الدولة الرستمية وثانيا أنا المدراريين بسجلماسة والرستميون بتاهرت كانت تربطهم علاقات ودية محضة خاصة التجارية،[5] فقط ذكر جودت عبد الكريم أن التجارة كانت عصب العلاقة بين الدولتين وقد ذكر اليعقوبي أن وجود طريق يربط تاهرت بسجلماسة فذكر قائلا أن من خرج بتاهرت سلك الطريق بين الشرق والغرب سار الى بلاد يقال لها أوزكا،[6] هذا ما يدل على أنها سجلماسة بالنسبة للدولة الرستمية كانت منفذ استراتيجي تجاري فكانت القوافل التجارية تعبر من سجلماسة محملة بمختلف المنتوجات الزراعية الحناء الكمون كما تنقل القوافل الأرز المحمول من سجلماسة كما يحمل أيضا شجرة التاكوت التي تستخدم في دباغ الجلد كما

---

[1] سجلماسة عاصمة الدولة المدرارية فكانت تعتبر منطقة تجارية واقتصادية ولها علاقات مع دول مجاورة أنظر محمد عيسى الحريري، علاقات الخارجية لدولة الرستمية، ص112.

[2] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص206.

[3] نفسه، ص207.

[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص136.

[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص138.

[6] يوسف جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية، مرجع السابق، ص68.

كانت القوافل تحمل الذهب المحمل من غانا،[1] وهذا ما أشار اليه محمد علي دبوز على أن العلاقات بين الدولة المدرارية والرستمية قوية حيث قال "ان كانت المعاملات التجارية والعلاقات الثقافية والعلاقة السياسية على أتمها وأحسنها في مدينة تاهرت وهذا ما يوضح العلاقات القوية بين البلدين في مختلف الاتجاهات".[2]

فرغم أن سجلماسة كانت فقيرة زراعيا وأراضي لا تنتج محصولا زراعيا فوقعها على طريق تاهرت جلب لها انتعاش التجاري خاصة أن سلع تاهرت تمر من سجلماسة الى السودان، وهذا بسبب ربط العلاقات التجارية بين سجلماسة تاهرت الروستمية فعرفت حركة تجارية متميزة بينها خاصة ما تعلق الأمر بالسلع والمواد ذات الإنتاج الفلاحي والزراعي،[3] مما ساعد سجلماسة بسبب نقص ذلك الذي شهدته الدولة المدرارية في هذه المواد،[4] بالإضافة الى الأمن والاستقرار بين البلدين كان لهم الحظ الأوفر والدور الواحد في العملية التجارية،[5] ومن أهم السلع من سجلماسة الى تاهرت شجرة التاكوت التي تستخدم دباغة الجلود وصنع الأحذية وغيرها وما يفسر ويقوي العلاقات التجارية بينهما.

[1] محمد زينهم، محمد زغب، مرجع سابق، ص96.
[2] محمد علي دبوز، تارخ المغرب الكبير، مؤسسة الثقافية، ط1، 1964، 2010، ج2، ص112.
[3] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص83.
[4] إبراهيم بكير بحاز، المرجع السابق، ص68.
[5] نفسه، ص69.

المطلب الثاني: علاقة الدولة الرستمية بدولة الأدارسة

اتسمت علاقة الدولة الرستمية مع دولة الأدارسة في البداية بنوع من التوتر على العموم وذلك لاختلاف المذهبين بينهما فالرستمتيين خوارج اباضية والأدارسة شيعة،[1] ورغم ذلك نقول أن علاقات الدولة الرستمية مع دولة الأدارسة بدأت تتضح أكثر بدخول ادريس بن عبد الله المغرب فقد ذكر بعض المؤرخين أنه سار من مكة الى افريقية ومنها الى تلمسان الى المغرب الأقصى وبالتالي أنه مرة بتاهرت ورغم نسبيه العلوي فلقد كانت الفرصة لقدومه لتاهرت ذات أهمية كبيرة فسمحت له أن يطلع على أرض الرستميين ويكون العلاقة مع بني رستم، فبتالي نقول أنه كانت علاقات مع تاهرت اجتماعية وخاصة التجارية رغم المشاكل السياسية فالجانب التجاري محطة مهمة بينهما فقد شهدت فاس حركة تجارية ضخمة فقد ذكر ابن أبي زرع أن ادريس الثاني أدار الأسواق حول المسجد وذكر القاضي أن الأدارسة قصدها الكثير من التجار وبالتالي كانت تاهرت بالنسبة لها محطة ومنفذ تجاري لا مفر منه.[2]

فقد ذكر اليعقوبي قال ليس من السهل تحديد السلع التي كانوا يتبادلونها وبالتالي كانت ذا شهرة في الإنتاج الزراعي والحيواني وقيل إنها استوردت الخرسومي الذي اشتهر به المغرب الأقصى،[3] ومما يقوي علاقتهما لهم نفس العدو وهو الدولة العباسية وبالتالي يجمعهما موقف واحد وهو عداء واحد للدولة العباسية كما كان الادارسة يعتبرون الدولة الرستمية بالنسبة لهم الحامي لحدودهم الشرقية.[4]

فهي بمثابة حاجز يفصل بين الادارسة والولات العباسيين وقيل أن الدولة الرستمية قد فتحت صدرها لدولة الادارسة خاصة العلويين الفارين من العباسيين كابن محمد بن سليمان العلوي كأبناء محمد بن سليمان العلوي، وبالتالي نقول رغم الثورات التي كانت بين الدولة الرستمية والادارسة تستطيع أن تقول أن العلاقات كانت جيدة خاصة في التجارة فقد استفادت الدولتين من بعضهما وساهم هذا في ازدهار الدولتين من الناحية الاقتصادية والاجتماعية.[5]

---

[1] محمد زينهم ومحمد زغب، مرجع سابق، ص98.
[2] يوسف جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية، المرجع السابق، ص184-183.
[3] نفسه، ص184
[4] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص189.
[5] نفسه، ص236.

فتقوت علاقة الادارسة بالدولة من خلال حركة القوافل التجارية التي كانت بينهما عن طريق حركة الصادرات والواردات بينهما،[1] فكانت تنقل لتاهرت مختلف السلع الى عامة الادارسة منها المواد الأولية والمواد الاستهلاكية كالاستهلاك النباتي والحيواني ومنها الفواكه والخضروات ولحوم حيوانات، خاصة أن تاهرت كانت معروفة بتربية الحيوانات وجودتها، كما استوردت تاهرت من فاس المواد الخام والمواد المعدنية كالحديد والرصاص والفضة والذهب،[2] كذلك المنتوجات النسيجية كالصوف والكتان والحرير وغيرها من المنتوجات النسيجية، ونقول أن العلاقة بين الادارسة والرستميون رغم المشاكل السياسية كانت جيدة من الناحية الاقتصادية والتجارية.[3]

المطلب الثالث: علاقة الدولة الرستمية بالدولة الأموية بالأندلس

تميزت العلاقة بين الدولة الرستمية والدولة الأموية بعلاقة ود وتحالف وتعاون اذ خدمت كليهم الظروف توحيد الجهود، والهمم مع بعضهم البعض وذلك نظرا لظروف التي كانت سائدة خاصة أنه كان لهم عدو واحد ومشترك وهو الدولة العباسية.[4]

وبالتالي كانت علاقات الرستميين والدولة الأموية في الأندلس على أساس التحالف القوي والمتين، والصداقة المتبادلة وبذات هذه العلاقات مع مؤسس الدولة الأموية عبد الرحمان بن معاوية الذي فر الى افريقية هاربا من العباسيين لجأ الى المغرب الأوسط الذين رحبوا به،[5] وكان من الطبيعي أن يتألف مع أمراء بني أمية في قرطبة وبين الأئمة الرستميين في تاهرت في إقامة علاقة بين الدولتين على أساس الصداقة والتحالف خاصة أن الأمويين وجدوا في العباسيين منفذ الأخطار الخارجية خاصة الدولة العباسية فالمغرب الأقصى فوجد الأدارسة ضدهم وضد منهجهم وفي المغرب الأدنى الأغالبة وهو ..لدولة العباسية فكان المقر الدولة الرستمية وعاصمتها تاهرت[6].

[1] يوسف جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية، المرجع السابق، ص189.
[2] نفسه، ص192-194.
[3] فراس سليم يحياوي، جوانب من علاقات الخارجية لدولة الرستمية، دار النشر بيروت، 160هـ-296هـ-776م-908م، جامعة بابل، قسم تاريخ، ص19.
[4] نفسه، ص205.
[5] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص214.
[6] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص468.

فكانت العلاقة جيدة جدا خاصة، من المظاهر ذلك تلك الهدايا بين البلدين في المناسبات فمثال عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بعث أبنائه الثلاث الى قرطبة فكانت يوما مشهودا وعظيما حيث استقبلهم عبد الرحمان الثاني استقبالا ملكيا ويوضح أكثر العلاقات التجارية كذلك من خلال تلك التسهيلات التي وضعها الرستميين لتجار الأندلس فقد فتحت امامهم طرق الى سائر بلدان العالم الإسلامي،[1] وأنقذتهم بذلك من الحصار الاقتصادي الذي فرضهم عليهم الأغالبة والأدارسة وقوت علاقات التجارية من خلال فتح الأسواق الخارجية لتسويق منتجاتهم التي زادت بسبب التقدم الذي لوحظ بالدولة الأموية في ميدان الصناعة والزراعة،[2] وفتح الرستميين لهم جميع الطرق والموانئ كميناء تنس ومستغانم ووهران لاستقبال البضائع الأندلسية من المصنوعات الحريرية وقام الرستميين بدور الوسيط هذه العملية وساعدهم في تصدير السلع الى السودان الغربي،[3] فكل هذه المعاملات التجارية والاقتصادية انعكس بالإيجاب على الدولتين حتى ظهر الازدهار والرقي وساهم في تقوية علاقات التبادل والترابط الاقتصادي بينهما وبين دول أخرى مجاورة لهم.[4]

وما قوى العلاقات بين الدولتين هو لهم عدو واحد وهو الدولة العباسية الذين كانوا يحاربون بني امية في الأندلس وأيضا أعداء الاباضية في تاهرت،[5] فقط ذكر محمد دبوز أن قيام الدولة الرستمية هو الذي مكن دولة عبد الرحمان الداخل من الازدهار والرسوخ وأتاح لها السبيل للازدهار،[6] كما كانت الدولة الرستمية هي الجسر الذي يصل دولة بني أمية بالأندلس بالمشرق الإسلامي فكثرت هدايا الصداقة والتعاون بين بني أمية والأئمة الرستميين حتى أقبل وفد الى تاهرت جماعات أندلسية كمروان الأندلسي،[7] والمسعود الأندلسي الذي رشحه عبد الرحمان بن رستم لخلافته من بعده وذكر أنه هناك من الأندلسيون من اشتغل في الأسواق بتاهرت كالخياط، أو حداد وهذا ما يوضح وجود جالية أندلسية بتاهرت،[8] فواصلت علاقة الصداقة والتعاون بين الملوك الأندلسيون والأئمة الرستميين حتى قيل أن أفلح بن عبد الوهاب

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص219.
[2] نفسه، ص219-220.
[3] فراس سليم يحياوي، المرجع السابق، ص48.
[4] محمود إسماعيل عبد الرزاق، المرجع السابق، ص38.
[5] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص487-488.
[6] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة الثقافية، ط1، 1964، ط2، 2010، ج2، ص132.
[7] يوسف جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية لدولة الرستمية، المرجع السابق، ص83.
[8] السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 494.

حينما أحرق مدينة العباسية 227هـ، وخرج منها بعث له الأمير عبد الرحمان الداخل رسالة ليتقرب اليه فبعث اليه مئة ألف درهم.[1]

كما كان أبي يقضان محمد بن أفلح علاقة جيدة مع ملوك الدولة الأندلسية علاقات تربطها المحبة والمودة والصداقة بين تاهرت وقرطبة حتى قيل أن اليقضان محمد بن أفلح لا يعمل عملا الا بموافقة عبد الرحمان الأوسط الذي توفي سنة 238هـ الموافق ل883 م،[2] فعرفت حركة تجارية بين الأندلس وتاهرت من خلال الصادرات والواردات فكانت صادرات تاهرت الى الأندلس مواد غذائية خاصة الحبوب، والاغنام، والخيول والمنسوجات الصوفية، بالإضافة الى التمور،[3] أما الواردات الأندلس الى تاهرت كانت الحديد الرصاص النحاس قصب السكر والزئبق والجواري الأندلسيات،[4] فازدهرت الحركة التجارية بين البلدين خاصة أن تاهرت تقع في الطريق الرابط بين الأندلس والمشرق،[5] فانتعشت العلاقة التجارية بينهما وأصبحت تاهرت وقرطبة قطبان اقتصاديان مهمان خاصة أنهم أصبحت لديهم منافسة وأسماع خارجية من دول أخرى وأوروبا.[6]

[1] محمد عيسى الحريري، المرجع السابق، ص216.
[2] عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص459.
[3] نفسه، ص500.
[4] فراس سليم يحياوي، المرجع السابق، ص183.
[5] حسن حمودة، المرجع السابق، ص 328.
[6] نفسه، ص329.

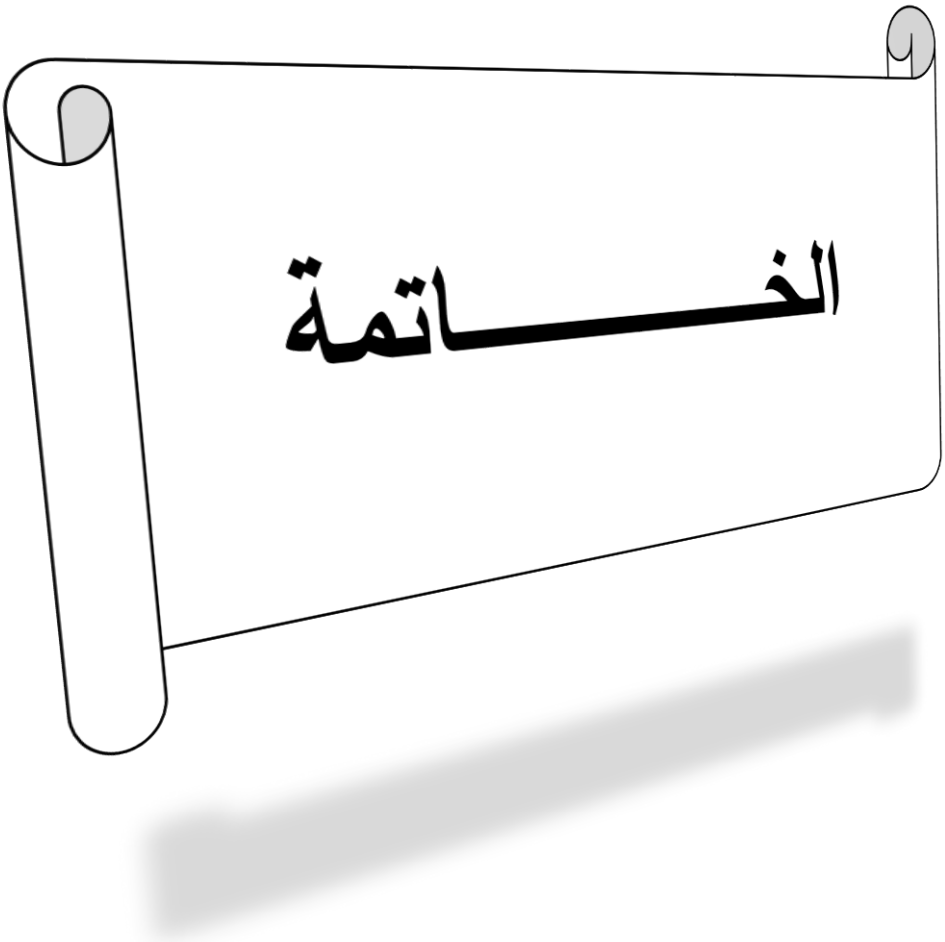
الخـــــــاتمة

الخاتمة:

بعد أن وصلنا الى نهاية هذه الدراسة التي عرضنا فيها النشاط الاقتصادي للدولة الرستمية من تأسيسها سنة 160هـ/770م نستعرض اليكم أهم النتائج المتحصل عليها من خلال هذا البحث الاتي:

-أن بلاد المغرب الأوسط غنية بالثروات الطبيعية.

-أن الدولة الرستمية استطاعت أن تحقق نجاحات داخلية وخارجية بفضل سياسة حكامها وحكمهم في تسيير الأمور.

-ان النشاط الاقتصادي في الدولة الرستمية عرف ازدهارا في مختلف مجالات الزراعة، الصناعة، والتجارة.

-ان الدولة الرستمية كانت ذا علاقات خارجية واستطاعت بفضل حنكة الأئمة الرستميين في كسب الود والاحترام الكثير من الدول.

-ان هناك عوامل وأسباب جعلت الدولة الرستمية تنتعش في المجال الاقتصادي أبرزها المركز الاستراتيجي لمدينة تاهرت الذي كان أحسن اختيار مدينة اقتصادية

-ان الدولة الرستمية دولة عقائدية تعاليمها لا تخرج عن الشريعة الإسلامية.

-ان نظام الحكم الدولة الرستمية يعتمد على الشورة والمبايعة أي ان الأب يترك الامامة لابنه وهو ما ترك فتنة فيما بعد بين الأولاد.

-ان الدولة الرستمية استطاعت أن تحفف إنجازات في مختلف النشاطات الاقتصادية بفعل التنظيم الجيد لمواردها الاقتصادية.

-ان الدولة الرستمية كانت لها سمعة خارجية جيدة خاصة من الناحية الاقتصادية فربطت علاقات مع عدة دول ومدن على غرار السودان الغربي الذي كانت تاهرت بالنسبة له القلب النابض لتجارة الخارجية.

-أن الاقتصاد في الدولة الرستمية كان يعتمد على وسائل بسيطة في الزراعة والتجارة كالمنجل والمحراث وهو ما خلق ثروة اقتصادية جيدة.

-اعتبار أن الأسرة في الدولة الرستمية هي القاعدة الأساسية في المجتمع نظرا للمكانة التي كانت تحتلها المرأة الرستمية التي تنافس الرجل في مختلف المجالات.

-أن التطور السياسي لدولة الرستمية تميز بانحراف الأئمة عن مبادئ المذهب وهو ما فتح الخلافات وأثرها على الجانب الاقتصادي.

-أن سقوط الدولة الرستمية كان نتيجة حتمية طبيعية لما وصلت اليه الأمور من تدهور وانحطاط وما ألت اليه الأوضاع الداخلية من تردي بسبب الصراع على الحكم وضعف الارتباط بالمذهب، هذه الظروف كانت مناسبة للمد الشيعي الفاطمي الذي دخلها 296هـ/909م وقضى عليها.

-ونقول أن الدولة الرستمية استطاعت أن تعيش قرنا وأكثر من ثلث قرن تميزت أوضاعها الاقتصادية والسياسية بجانب الازدهار والضعف معا حيث كان الاستقرار السياسي له دور فعال في ازدهار النشاط الاقتصادي ذلك بتأثير الخوارج الاباضية الذي كان لهم الدور الفعال في ازدهار البلاد اقتصاديا فبهم ازدهرت الدولة الرستمية وبهم سقطت الدولة الرستمية على يد أعدائها.

ومن النتائج المتحصل عليها من خلال دراستها لهذا الموضوع أن تاريخ الأمة الجزائرية مجال معرض لتهميش خاصة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية على غرار الدولة الرستمية فنرجو لبحث في تاريخ الجزائر عامة والدولة الرستمية خاصة.

الملاحق

الملحق 01: الخريطة الجغرافية للدولة الرستمية

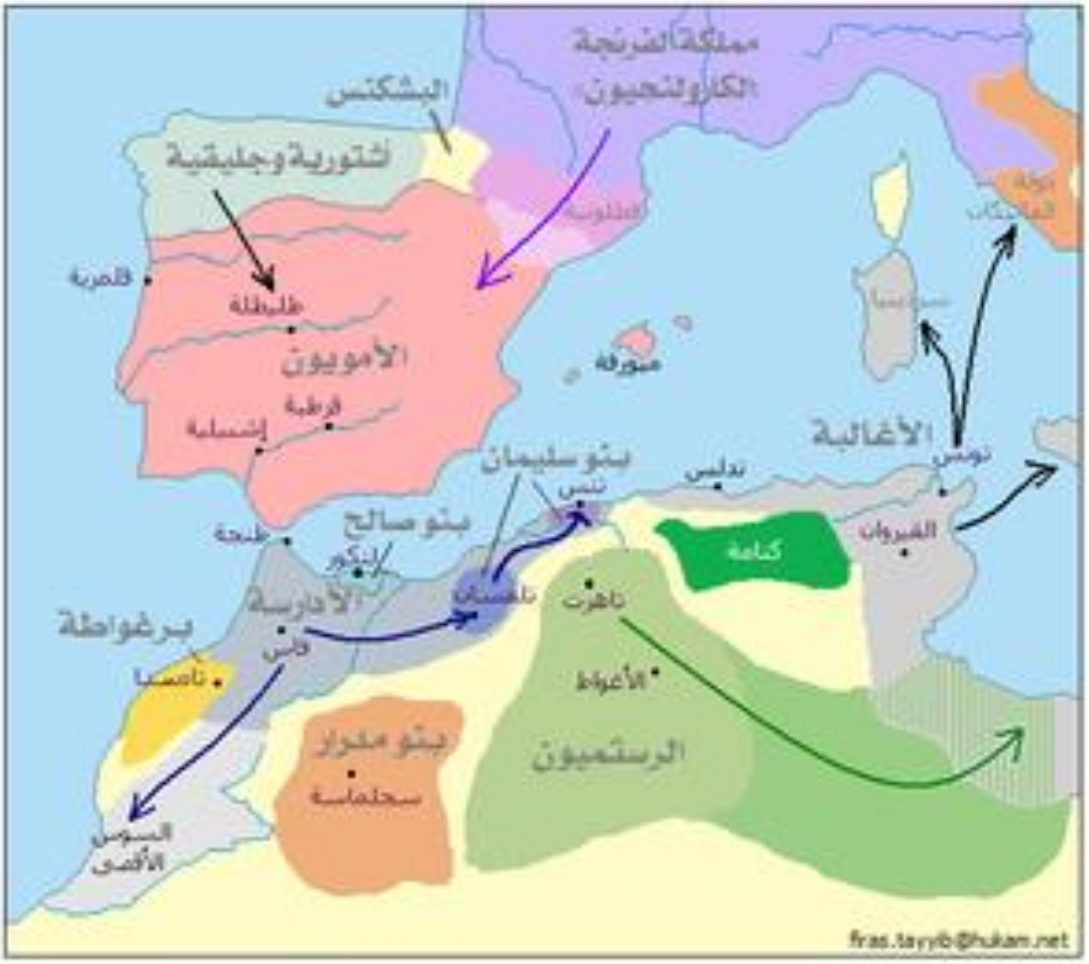

الأدارسة، الرستميون والأغالبة

شمال إفريقية والأندلس في القرن التاسع للميلاد

الملحق 02: خريطة توضح تجارة الرقيق التي كانت تتم عبر الطريق الغربي (سلجماسة) والطريق الشرقي (وارجلان)

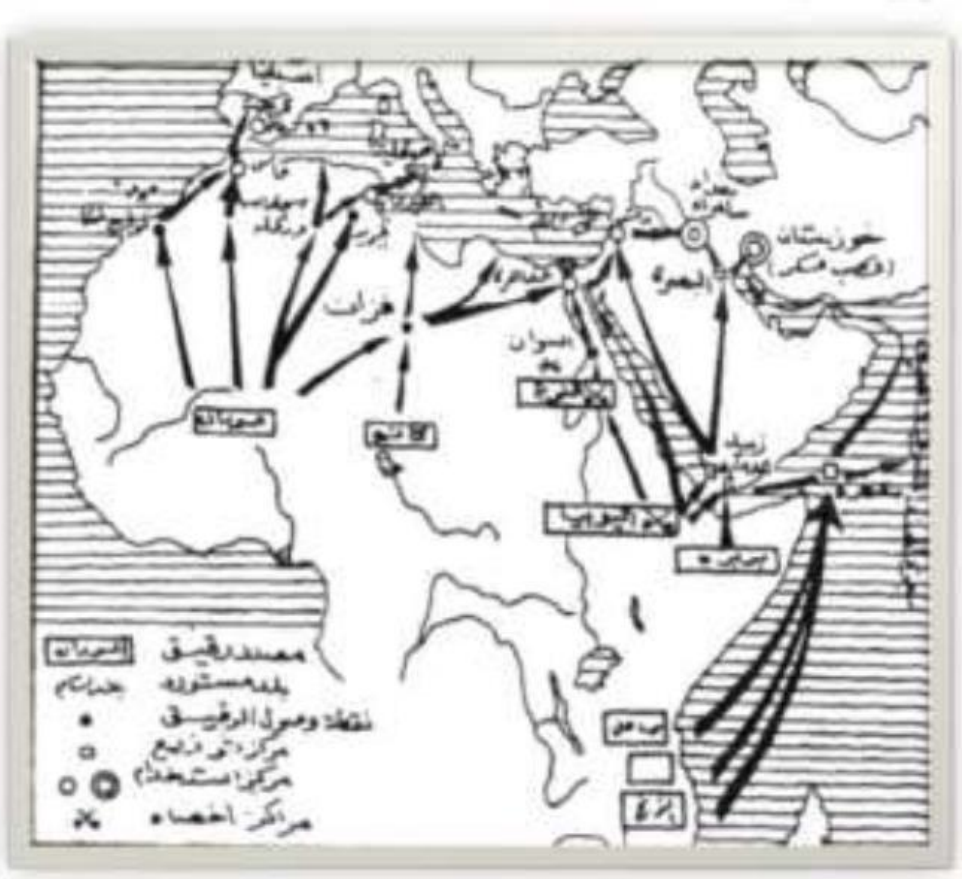

الملحق 03: خريطة توضح أهم الطرق التجارية الرابطة بين تاهرت عاصمة الدولة الرستمية وبلاد السودان الغربي

الملحق 04: جدول يوضح أحداث تاريخية (160هـ-402هـ/776م-1011م)

تاريخ	أهم الأحداث
148هـ/765م	انشاء مدينة تاهرت
160هـ/776م	مبايعة عبد الرحمان بن رستم بالإمامة بتاهرت
181هـ/788م	توثيق العلاقات مع دولة الأغالبة
183هـ/789م	ثورة قبيلة الزناتة الثائرة
239هـ/853م	تخريب المدينة العباسية واحتراقها على يد أفلح بن عبد الوهاب
241هـ/855م	نهاية عهد أبو يقضان
279هـ/892م	انتشار الدعوة الشيعية بالجزائر
282هـ/894م	الخلافات بين أبو حاتم وعمه أبو يعقوب
285هـ/898م	انتشار المجاعة والوباء
294هـ/906م	مقتل أبو حاتم وولاية أبو يقضان
296هـ/909م	سقوط الدولة الرستمية على يد المد الشيعي
360هـ/970م	تأسيس مدينة ..بالجزائر
402هـ/1011م	تأسيس بلاد المزاب

المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1-القرآن الكريم.

2-ابن صغير المالكي، أخبار الأئمة الرستميين القرن 3هـ ت م إبراهيم بحاز، محمد ناصر، دار المطبوعات لنشر، 2010، ج1، د ط.

3-أبو العباس أحمد بن محمد بن عذار المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط1، دار الغرب، تونس، 1434هـ-2013م، ج1.

4-أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار الصادر، بيروت، ط1، ج1.

5-أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، ط1، الحذيوية، القاهرة.

6-أبي زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، ت إسماعيل العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1979م، ط2.

7-أبي عبد الله البكري، المسالك والمماليك، دار العربية للكتاب، 1992م، ط1، ج1.

8-أحمد بن سعيد بن عبد الواحد الشماخي، كتاب السير، تح أحمد بن مسعود الشماني، دار الصادر بيروت، 1412هـ/1992، ط2.

9-الشريف الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الإسلامية، 2006، ط1.

10-شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر المقديسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411هـ-1991م.

11-عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، دار المطبوعات لنشر، الجزائر، 1985م، ط2، ج1.

12-مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر سعد زغلول عبد الحميد، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد.

13-محمد البكري، المسالك والممالك، ت جمال طيبة، ط1، ج1.

14-ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، دار صادر بيروت، لبنان، 1997.

ثانيا: المراجع

1-إبراهيم بكير بحاز، الدولة الرستمية، دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، جمعية تراث، 1414هـ -1993م.

2-ابي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني، طبقات المشايخ، ط1، دار الكتب للنشر، بيروت، ج1.

3-الحبيب الجنحاني، المجتمع العربي الإسلامي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، الكويت، ط1، 2005.

4-السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، ط1، كلية الأدب، جامعة الإسكندرية.

5-بوزياني الدراجي، دولة الخوارج والعلويين في المغرب والأندلس، دار الكتب العربية لطبع ونشر، 2007.

6-عبد الحميد حسن حمودة، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2002م، ط1.

7-عصام الدين عبد الرؤوف الفقه، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة النهضة للنشر جامعة القاهرة، 1984.

8-فراس سليم يحياوي، جوانب من علاقات الخارجية لدولة الرستمية، دار النشر بيروت، 160هـ-296هـ-776م-908م، جامعة بابل، قسم تاريخ.

9-مبارك ميلي محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج2.

10-محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة الثقافية، ط1، 1964، ط2، 2010، ج2.

11-محمد عيسى الحريري، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها وعلاقتها الخراجية بالمغرب والأندلس، 160هـ/296هـ، ط3، دار العلم للنشر، 1987م.

12-محمود إسماعيل عبد الرزاق، الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي في منتصف القرن 4هـ، دار البيضاء، المغرب، ط2، 1985.

13-منصف قوجة، تاريخ الاباضية الديني والسياسي، من القرن الأول الى القرن 6هجري، دت، ط1، دار التونسية، 2014م.

14-يحي بوغرير، الموجز في تاريخ الجزائر، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م، ط1، ج1.

15-يوسف جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للمغرب الأوسط خلال القرن 3هـ و4هـ، دط، دار المطبوعات الجزائرية، بن عكنون الجزائر.

16-يوسف جودت عبد الكريم، علاقات الخارجية لدولة الرستمية، دار النشر المكتبة الجامعية قسنطينة.

ثالثا: الرسائل الجامعية

1-عادل بديرة، بداية المغرب الأوسط في العصر الوسيط دراسة للواقع الاقتصادي والاجتماعي وتأثيرها على السلوك والذهنيات من القرن 4هـ الى القرن 7، رسالة ماجيستير في التاريخ الوسيط، اشراف مفتاح خلفان، ، 2018.

2-عبد المالك بكاي، مجلة العمل الزراعي في الأرياف والمدن في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، جامعة محمد بوضياف المسيلة.

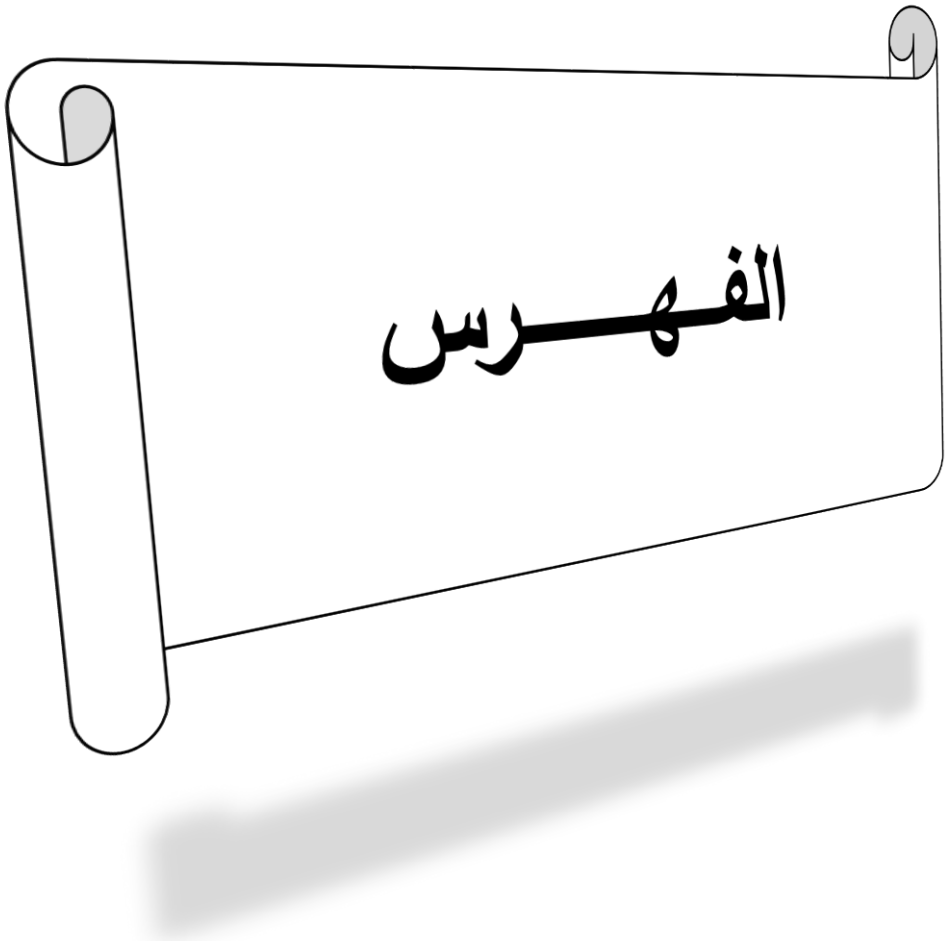
الفـهـــرس

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	–
اهداء	–
اهداء	–
قائمة الاختصارات	–
مقدمة	أ
الفصل الأول: الأوضاع العامة للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية	5
المبحث الأول: الوضع السياسي والاقتصادي للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية	6
المطلب الأول: الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط	6
المطلب الثاني: الوضع السياسي للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية	7
المطلب الثالث: الواقع الاقتصادي للمغرب الأوسط قبل قيام الدولة الرستمية	10
المبحث الثاني: الواقع السياسي للدولة الرستمية	14
المطلب الأول: قيام ونشأة الدولة الرستمية	14
امامة عبد الرحمان بن رستم 160هـ/171هـ، 777م/787م	15
المطلب الثاني: أئمة الدولة الرستمية	17
الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمان (180هـ-208هـ/787م-805م)	17
الامام أفلح بن عبد الوهاب (208هـ-258هـ/832م-871م)	18
امامة أبوبكر بن أفلح(258هـ-260هـ/871م)	19
الامام أبو اليقضان بن أفلح (260هـ-281هـ/871-894م)	20
امامة اليقضان بن أبي اليقضان (294هـ-296هـ/906م-908م)	21

المطلب الثالث: سقوط الدولة الرستمية	22
الفصل الثاني: الأحوال الاقتصادية للدولة الرستمية	23
المبحث الأول: أهم النشاطات الاقتصادية للدولة الرستمية	24
المطلب الأول: الزراعة	24
المطلب الثاني: الصناعة	29
المطلب الثالث: التجارة	23
المبحث الثاني: علاقات الدولة الرستمية الاقتصادية	36
المطلب الأول: علاقات الدولة الرستمية مع بني مدرار	36
المطلب الثاني: علاقة الدولة الرستمية مع الأدارسة	38
المطلب الثالث: علاقة الدولة الرستمية بالدولة الأموية بالأندلس	39
الخاتمة	42
قائمة الملاحق	45
قائمة المصادر والمراجع	50
الفهرس	54